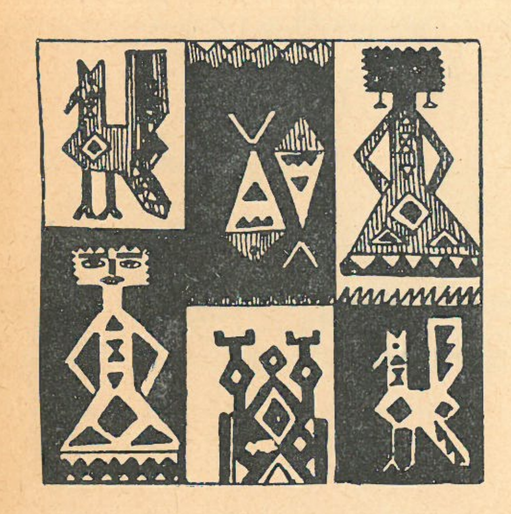


فنون رمضان



تأليف :
مصطفى عبد الرحمن



رمضان

الغلاف بريشة الفنانة شفكات امام

الرسوم الداخلية بريشة البرجينى

لماذا سمى رمضان ؟

اختلفت فى ذلك الآراء وتعددت الروايات فمن قائل أنه مشتق من رمض اذا احترق والرمضاء شدة الحر وسمى بذلك للارتماض من حر الجوع والعطش وقيل انما سمى رمضان لأنه يرمض الذنوب ويحرقها بالأعمال الصالحة ..

وقيل أيضا لأن القلوب تأخذ فيه الموعظة والتفكير فى أمر الحياة الآخرة كما تكتسب صخور الفيافى ورمالها من حرارة الشمس وقيل ان العرب كانوا يرمضون أسلحتهم فى رمضان أى يدقونها ويشحذونها بين الحجارة استعدادا للحرب فى شوال قبل حلول الأشهر الحرم .

وقيل كذلك انه من اسماء الله الحسنى وذلك لقوله صلوات الله وسلامه عليه :

«لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان لكن قولوا جاء شهر رمضان» ولكن أكثر الفقهاء يقولون ان هذا الحديث ضعيف فى سنده .

ورمضان اسم الشهر التاسع من التاريخ وهو كما جاء فى دائرة المعارف الاسلامية مشتق من (رمض) وفى ذلك اشارة الى حر الصيف مما يدل على الفصل الذى وقع فيه هذا الشهر فى فصول السنة حينما

كان العرب القدماء دائبين على محاولة التوفيق بين سنتهم والسنة الشمسية بالاستعانة بأشهر النسىء (١) .

ورمضان هو الشهر الوحيد الذى ذكره القرآن الكريم من شهور السنة فقد نزلت الآية الكريمة .

« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »

منبئة بأن شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن وذلك بمناسبة فرض الصوم فى هذا الشهر .

قال الأستاذ عبد الرحمن الرافعى ان من أعظم الأحداث التى حدثت فى رمضان :

*** غزوة بدر الكبرى :**

وقعت فى السنة الهجرية الثانية وانتصر فيها المسلمون .

*** فتح مكة :**

وقع فى السنة الثامنة الهجرية وكان لهذا الفتح أثره وفضله فى توحيد كلمة العرب .

« انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليه ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا » .

* فى رمضان عام ٩١ هجرية غزا موسى بن نصير الثغور الجنوبية للأندلس وكانت هذه الغزوة مقدمة لفتح الأندلس .

---

(١) كان العرب ينسئون أى يؤخرون الأشهر الحرم الى ما بعد ذى الحجة فنهاهم الله سبحانه عن ذلك فى قوله :

« انما النسىء زيادة فى الكفر .. الآية »

❋ فى عام ٩٢ هجرية انتصر طارق بن زياد على دوريك ودانت الأندلس للفتح العربى .

❋ فى رمضان سنة ١٣٤ هجرية استولى ابو العباس عبد الله أول الخلفاء العباسيين ؛ على دمشق .

❋ فى رمضان سنة ٥٨٤ هجرية قاتل السلطان صلاح الدين الأيوبى الافرنج فى سورية واستخلص منهم البلاد التى كانوا يحتلونها .

❋ ❋ ❋

وجاء فى دائرة معارف محمد فريد وجدى ان رمضان من الرمضاء وهى شدة الحر وأرمضه أى أوجعه ورمضان هو الشهر التاسع من شهور سنتنا الهجرية جمعه رمضانات ورمضانون وهو شهر الصيام .

وقيل ان الشهور العربية سميت من أسماء فصول السنة الدالة على الحرارة والبرودة ونمو النباتات .

فالمحرم : سمى بذلك لأن العرب كانوا يحرمون فيه القتال

صفر : كانوا يغيرون فيه على البلاد فيتركونها صفرا أى خالية .

ربيع أول : سمى فى وقت اربعت فيه الأرض أى أخصبت .

ربيع الآخر : كسابقه فى التسمية .

جمادى الأولى : سميت بذلك لتجمد الماء فيها فى الأماكن العالية .

جمادى الأخرة : كسابقتها فى التسمية .

رجب : اشتق اسمه من الترجيب وهو التعظيم ويقال أيضا انهم سموه بهذا الاسم لأنهم كانوا (يرجبون) فيه الشجر أى يجعلون تحته وحوله بناء يقيه ويحفظه .

شعبان : سموه كذلك لتشعب النبات فيه بانقسام الجذع الى فروع كبيرة .

شوال : وسمى كذلك لأن الابل كانت تلقح فيه فتشول بأذنابها أى ترفعها .

ذو القعدة : كانوا يقعدون فيه عن القتال .

ذو الحجة : سمى بذلك لوقوع الحج فيه .

قال تعالى :

« ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » .

الأربعة الحرم

الأربعة الحرم هى :

❋ ذو القعدة

❋ ذو الحجة

❋ المحرم

❋ رجب

وكان العرب يحرمون فيها القتال ...

رمضان قبل الجاهلية

وقد امتاز هذا الشهر عن بقية شهور العام قبل الاسلام ففيه نزلت صحف ابراهيم الخليل ونزلت التوراة على موسى ونزل الانجيل على عيسى عليه السلام .

منزلة رمضان بين الشهور

قال ابن الجوزى فى بستان الواعظين : « مثل الشهور الاثنى عشر كمثل يعقوب وأولاده فكما أن يوسف أحب أولاده اليه كذلك رمضان أحب الشهور الى الله » .

وقد خص الله تعالى رمضان بهذا الفضل لأسباب كثيرة أهمها :

١ ـ نزول القرآن الكريم فى رمضان

٢ ـ وقوع ليلة القدر فيـــه

٣ ـ تكثر فيه العبادة وطاعة الله

٤ ـ كثرة التعاطف فيه بين الناس

٥ ـ صيام شهر كامل هو شهر رمضان

* رمضـــان كريـــم
* ليلـــة الرؤيـــة
* يـوم الشـــك
* الاعتـــــكاف
* الجمعـــة اليتيمة

كلمات تتردد على الألسن كلما أقبل رمضان ...

رمضان كريم

من الناس من يقول كيف نسمى رمضان كريما وهو الشهر الذى تختبر فيه ارادة الانسان وسيطرته على نوازع نفسه بحرمانه من حاجات الجسم من مأكل ومشرب ويقولون انه ربما سمى بذلك كمـــا كان يفعل العرب بأن يسموا الأشياء باضدادها ..

وتقول عندما يزورك أحد فى رمضان فلا تقدم له شيئا وكأنما تعتذر اليه بأن رمضان هو الذى يمنعك فانت تعنى ان رمضان بخيل . فنقولها على المجاز بدل التصريح تأدبا .

ومن الناس من يقول حقا هو شهر الكرم فما جاء رمضان الا ومعــه الخير فموائده دون باقى أشهر العام جميعا تحفل بشتى أنواع الأطعمـة

والحلوى وهو شهر الكرم لأنه شهر البذل والعطاء والشهر الذى ترق فيه القلوب ويعطف فيه الانسان على أخيه الانسان ٠

شهر المودة والتعاطف ، شهر البر والاحسان ٠٠

كانت الدولة الفاطمية اذا جاْ رمضان تقيم الأسمطة وبهـــا أنواع المأكولات والأطعمة الفاخرة يدعى الامراء الى حضورها فى كل ليلة كمـــا يحضرها الشعب كافة ٠

وما زال فى بعض ريفنا الى اليوم كلما أقبل رمضان تعـد الموائد خارج الدار ليأكل منها كل غريب مار بهم أو معوز مسكين ٠

وهذا هو فى رأيى الأمر الذى سمى من أجله رمضان كريما ٠٠٠

ليلة الرؤية

الرؤية شرط من الشروط التى يجب أن تتوفر لحلول شهر الصيام ولا يحل الا بها من قوله تعالى :

« ومن شهد منكم الشهر فليصمه »

وذلك أن الشهور القمرية تتم دورتها أحيانا فى تســعة وعشرين يوما وأحيـانا ثلاثين يوما فالذى يحدد مبدأ الشـــهر ونهايته هو بزوغ الهلال من أجل هذا فان الناس ترقب هلال رمضان عند غروب الشمس فى اليوم التاسع والعشرين من شعبان فان ثبتت الرؤية صاموا فى اليوم التالى وان لم تثبت أتموا شعبان ثلاثين يوما ٠٠٠

قال صلى الله عليه وسلم (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين ياما) ٠

يوم الشك

ان يوم الشك هو اليوم التالى للتاسع والعشرين من شعبان ويقع فيه الشك لأنه اما أن يكون مكملا لشعبان ثلاثين يوما واما أن يكون أول رمضان ومصداق ذلك ماورد فى الحديث الشريف :

« صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » ٠

الاعتكاف

كان رســول الله (ص) يعتكف فى المسجد فى العشر الأواخر من رمضان عابدا واهبا نفسه لله عز وجل لا يشغل نفسه بالدنيويات وهى سنة لمن تسمح له ظروفه بالاعتكاف ٠

(السنة للمعتكف ألا يعود مريضا وألا يشـهد جنازة الا لضرورة قصوى وألا يمس امرأة ويباشرها وألا يخـرج لحاجة الا لما لا بد له منه ويستحسن فى الاعتكاف الصوم) ٠

الجمعة اليتيمة

هى آخر جمعة فى شهر رمضان وسميت يتيمة لتفردها بالحسن فالدر اليتيم هو المتفرد بحسنه وبهائه ٠

وقيل ان أهميتها جـاءت من أنه كان يبـاح فيها شـهود الموكب السلطانى والتمتع بطلعة السلطان ٠ وأن تقديرها على غيرها من أيام الجمع كان لأنهـا الجمعة الوحيـدة التى كان يشهد فيهـا المسلمون الخليفـة أو السلطان ٠٠

الصّوم

واذا ذكر رمضان فقد ذكر الصوم والصوم عبادة قديمة ...

❋ **الصوم :** الصوم عبادة قديمة . لعلها كانت منذ آدم أو على عهد نوح أو ابراهيم عليه السلام ..

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

❋ **الصوم عند النصارى:** ان انجيل النصارى يذكر الصوم ويمتدحه ويعده عبادة كبرى ومن المعروف أن السيد المسيح عليه السلام لم يكن يصوم الصيام الشرعى المعهود من قبل ولكن يذكر أنه صام مرة اربعين يوما بلياليها ولم يفرض صياما معينا ثم جاءت الكنيسة ففرضت الصوم ونظمته على القواعد والأسس التى وضعها الرسول بولس فى كتابه (أعمال الرسل) .

❋ **الصوم عند الوثنيين:** وقد عرف الوثنيون الصوم وقد كان المصريون أيام وثنيتهم يصومون وانتقل منهم الصوم الى اليونان والرومان وما زال الوثنيون فى الهند يصومون الى الآن .. **كما عرفته بعض الملل الأخرى كالبراهمة والمجوس ، والصابئة والبوذيين ، وعبدة النبات والحيوان .**

الصوم فى التوراه : وتفرض التوراه الصوم بعض الأيام فى بعض المناسبات وكان من مظاهر تقشفهم فى الصوم أنهم كانوا يلبسون المسوح على اجسادهم

وينثرون الرماد على رءوسهم ويتركون أيديهم غير مغسولة ...

الصوم فى الاسلام

والصوم فى الاسلام ركن من أركانه الخمسة ولا يتم دين المسلم الا به ولا يكمل الا بأدائه فقد بنى الاسلام على خمس قواعد هى :

❋ **شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله :**

❋ اقام الصلاة .
❋ ايتاء الزكاة .
❋ صوم رمضان .
❋ حج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .

قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات .. فمن شهد منكم الشهر فليصمه . ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب » .

والصوم فى التوراة والانجيل تكون وتطور مع الحياة الدينية وطبعا لتنظيم الهيئات الدينية . أما الصوم فى الاسلام فقد جاء جديدا فى بابه فقد فرض صيام شهر بأكمله . وهذا الصوم له شروط وآداب وهو ليس الكف عن الطعام والشراب ونحوهما من الأمور التى تتعلق بالجسد ولا

بالتقشف الظاهرى وانما هو حياة روحانية حياة ذكر وفكر واحسان وبر وتخلق بمكارم الأخلاق ·

فالمقصود بالصيام هو الجانب الروحى فتصوم العين بغضها عما حرم الله النظر اليه ، ويصوم اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والغش، وتصوم الاذن عن الاصغاء الى مانهى الله عنه ، وتصوم البطن عن تناول الحرام وما فيه ريبة وشك ، وتصوم اليد عن ايذاء الناس وتناول المنهى عنه ، وتصوم الرجل عن المشى بالفساد فوق الارض ·

قال الشاعر :

اذا لم يكن فى السمع منى تصامم
وفى مقلتى غض وفى منطقى صمت

فحظى اذن من صومى الجوع والظما
وان قلت : انى صمت يوما فما صمت

وقال شوقى :

« هو حرمان مشروع وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ، ولكل فريضة حكمة وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة ، يستثير الشفقة ويحض على الصدقة ويكسر الكبر ويعلم الصبر ويسن خلال البر حتى اذا جاع من الف الشبع وحرم المترف أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع والجوع كيف ألمه اذا لذع » ·

وقد شرع الصيام فى السنة الثانية من الهجرة ولكن بعض المسلمين لم يصوموا فى هذه السنة لأن غزوة بدر كانت فيه وقد أفطر البعض مضطرين لمشقة السفر والجهاد وشدة الحر · وصام المسلمون بعد ذلك

فى السنة التالية ولم يفطروا الا فى غزوة الفتح اذ أفطر المجاهدون لأنهم كانوا على سفر ·

وقت الصيام

الامتناع عن جميع المفطرات وهى الأكل والشرب وغشيان النساء من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية ·

أنواع الصيام

وقد أجمع علماء الدين الاسلامى على أن الصوم أربعة أنواع :

الصوم المفروض : هو صوم رمضان وصوم النذر ·

الصوم المحرم : صوم أيام العيدين وأيام التشريق الثلاثة

الصوم المندوب : وهو صوم شهر المحرم وأفضله اليوم التاسع والعاشر منه · ومنه صيام الأثنين والخميس وصيام ستة أيام من شوال وصوم الاشهر الحرم ·

الصيام المكروه : صوم يوم الشك ، وافراد يوم الجمعة بالصيام ، وصيام المرأة من غير اذن زوجها اذا كان الصيام مندوبا ، وصوم الدهر ·

ويرى حجة الاسلام أبو حامد الغزالى أن الصوم ثلاث درجات هى :

صوم العموم : وهو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة .

صوم الخصوص : وهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

صوم خصوص الخصوص: هو صوم القلب عن الهمم الدنيئة وكفه عما سوى الله بالكلية .

شروط الصيام

للصيام فى رمضان ثلاثة شروط هي :

* الاسلام
* العقل
* البلوغ

وتنقسم الى :

شروط واجبة اداء وهى الصحة والاقامة

شروط صحة واداء : وهى الطهارة والنية

ما يقال عند الافطار

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا أفطر قال :

(اللهم لك صمنا . وعلى رزقك أفطرنا فتقبل أنك أنت السميع العليم) .

صوم عاشوراء

عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه . فلما فرض صيام رمضان قال الرسول من شاء صام عاشوراء ومن شاء أفطر .

قال ابن عباس : ان رسول الله قدم المدينة فوجد اليهود يصومون عاشوراء . ولما سئلوا عن ذلك قالوا : هذا اليوم الذى أظهر الله فيه موسى وبنى اسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيما له .

قال عليه الصلاة والسلام : نحن أولى بموسى منكم فصامه وأمر بصومه .

أيام كريمة فى رمضان

أما الشعائر المتصلة بصوم رمضان كما ذكرها البيرونى فهى :

* **اليوم السادس** : الذى ولد فيه الشهيد الحسين بن على .
* **اليوم العاشر** : الذى توفيت فيه خديجة .
* **اليوم السابع عشر** : الذى فيه تم النصر فى غزوة بدر .

« اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » .

* **اليوم الحادى والعشرون** : الذى توفى فيه على والامام الرضا (١) . وتم فيه فتح مكة سنة ٨ من الهجرة .

(١) احد ائمة الشيعة من ابناء على وتوفى فى فارس وله قبر بها .

* **اليوم الثانى والعشرون** : الذى ولد فيه على .
* **الليلة السابعة والعشرون** :أى ليلة القدر .. وليلة القدر تسمية قرآنية سميت بها سورة القدر ومما جاء فيها ..

« ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وقد نزل الوحى فى هذه الليلة أول ما نزل على محمد عليه الصلاة والسلام فقد هبط فيها جبريل على محمد قائلا : « اقرأ » قال : ما أنا بقارىء : ولكن جبريل يقول ثانية (اقرأ) ويقول محمد ما أنا بقارىء فيقول له « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم .. »

على أن القول بأن ليلة القدر تقع فى السابع والعشرين من رمضان قول غير مقطوع به . ومن ثم جرى أهل التقوى على الاعتكاف فى جميع ليالى الوتر فى العشر الأواخر من رمضان على اعتبار أن ليلة القدر تكون فى ليلة منها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(والتمسوها فى العشر الأواخر) .

وقيل ان الرسول لم يعرف بها لكى ينصرف الناس الى العبادة فى العشر كلها .

ما يبطل الصيام

* يبطل الصيام اذا تعمد الصائم أن يفعل ما حظرت عنه الآية الكريمة من أكل أو شرب أو جماع .
* ويبطل الصيام اذا تعمد الصائم القىء واذا قاء رغما عنه وكان القىء يملأ الفم وعليه قضاء يوم مكان اليوم الذى أفسده .

أمور لا تبطل الصيام

* من غلبه القىء لا يبطل صومه ولم يكن يملأ فمه .
* لا يفسد الصوم بالحجامه وهى أخذ الدم من الرأس أو من غيره .
* ومن احتلم وعليه الغسل
* ومن أكل ناسيا أو شرب فصيامه صحيح .
* المضمضة أو الاغتسال من الحر فهو جائز .
* ويرخص للصائم أن يصبح وهو جنب على أن يغتسل قبل صلاة العصر
* والكحل لا يفسد الصوم .

ما يبيح الفطر

* يباح الفطر للمسافر والمريض على أن يقضى كل منهما أياما فى غير رمضان بعدد ما أفطر .
* للحامل والمرضع أن تفطر والقضاء بعد زوال عارض الحمل والارضاع.

* ومن عجز عن الصيام لشيخوخته أو مرض مرضا لا يرجى برؤه منه أفطر ولا قضاء عليه ٠

الصوم فى اللغة

وفى كتاب أساس البلاغة للزمخشرى تحت (ص ٠ و ٠ م) هو شهر الصوم ٠ والصيام « ومن شهد منكم الشهر فليصمه » ٠

أى فليصم فيه ٠ وفلان صوام قوام وقوم صيام وصوم صوام وصيم « بكسر الصاد المهملة » وصيم (ومن المجاز هذا مصام الفرس ومصامته وهذه مصامات الخيل قال الشماخ :

متى ما يسف خيشومه من نجارها
مصامة أعيار من الصيف ينشح

وخيل صائمة وصيام وصام الفرس على أريه اذا لم يعتلف ٠٠

قال : قد صام شدك السفا يرمى أشاعره ٠

فى صام ضمير والشوك مبتدأ وصام صمت (انى نذرت للرحمن صوما) وصام وقام ودام بمعنى وماء صائم وصامت الريح ركدت وصام النهار وصامت الشمس كبدت وجئته والشمس فى مصامها ٠

وقال الشماخ :

خبوب وان صامت عليها وديقة
من الحر ان يطبخ بها النىء ينضج

وشاخ فصامت عنه النساء : قال ابو النجم :

(قصرت عنى بعد فطر صيما)

وصامت النعامة والدجاجة وذلك لوقفتها عند ذلك أو لسكونها بخروج الأرى ٠

أما الصيام فى الشرع فهو الامساك عن الطعام والشراب من الفجر الى مغيب الشمس ٠

الصيام والصحة (١)

يعد (ابقراط) حكيم الاغريق الشهير من أوائل الذين بحثوا موضوع الصوم من الوجهة الصحية وقد ألف أكثر من كتاب فى (التغذية) ، (العلاج بالتغذية) وقد فصل فى حكمته الثالثة عشرة اختلاف درجة أعمار الصائمين وأنواع العمل الذى يزاولونه ٠

كما ازداد الاهتمام بالصوم العلاجى بعد الميلاد ففى عام ٤٦ م كان (بلزاك) أشهر علماء عصره يقول ان الصوم يوم واحد أفضل من تعاطى الدواء كما كان (سينيكا) فى الحقبة الأولى من الميلاد يشيد بالأطباء القدامى الذين كانوا يشيرون على مرضاهم بالصوم بل ان (كونيلوس) الاغريقى كتب فى السنة العاشرة الميلادية معللا ما لوحظ من أن الشفاء أسرع الى المرضى الارقاء منه الى المرضى الاحرار قال :

(١) قيل ليوسف عليه السلام : لم تجوع وفى يديك خزائن الارض ؟ فقال عليه السلام : أخاف أن أشبع فأنسى الجائع ٠

وقال لقمان الحكيم : (اذا امتلأت المعدة خرست الحكمة ، ونامت الفطنة وسكتت الأعضاء عن العبادة) ٠

(ان هذا يرجع الى أن الارقاء أكثر دقة فى اتباع نظام الصـــوم العلاجى) .

وجاء فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحاديث :

« المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء » .

وقال :

« نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع »

وفى الطب الحديث قال الدكتور عبد العزيز اسماعيل :

(ان الصيام يستعمل طبيا فى حالات كثيرة ووقاية فى حـــالات أكثر فالصيام يعالج اضطرابات الامعاء المزمنة والمصحوبة بتخمر ويعالج كذلك زيادة الوزن الناشئة عن كثرة الطعـــام ويعتبر الصـــيام علاجا لالتهاب الكلى الحاد المزمن وأمراض القلب كما يقى من مرض البول السكرى اذ أن هذا المرض كثيرا ما يكون عقب الزيادة فى الوزن فالصوم بذلك يكون وقاية منه .

والامتناع عن الغذاء والشراب مدة يقلل نسبة الماء فى الجسم والدم وهذا بدوره يدعو الى قلته فى الجلد وبذلك تزداد مقاومة الجلد للأمراض الجلدية المعدية .

والصيام كذلك علاج لأمراض زيادة الحساسية وامراض البشرة الدهنية وفى العالم الآن مصحات كثيرة يقوم العلاج فيها بالصوم وعملها تخليص الجسم من نفايات الغذاء ودسمه وكثرته وكذلك من الســـموم الناتجة من التخمرات الغذائية وبقاء فضلاتها فى الجسم كما أن الصيام راحة اجبارية لمختلف أجهزة الهضم التى هى فى مقدمة ما يصيب الجسم من أمراض .

ويقول الدكتور العالمى اليكسيس كاربل الحائز على جائزة نوبل فى الطب :

(ان كثرة وجبات الطعـــام وانتظامها ووفرتها تعطـــل وظيفة أدت دورا عظيما فى بقاء الاجناس البشرية وهى وظيفة التكيف على قلة الطعام ولذلك كان الناس يلتزمون الصوم فى بعض الأحيان) .

ويقـــول :

(ان الأديان كافة تدعو الناس الى وجوب الصـــوم والحرمان من الطعام اذ يحدث أول الأمر الشعور بالجوع ويحدث احيانا التهيج العصبى ثم يعقب ذلك شعور بالضعف بيد أنه يحدث الى جانب ذلك ظواهر خفية أهم بكثير منه فان سكر الكبد سيتحرك ويتحرك معه أيضا الدهن المخزون تحت الجلد وبروتينات العضل والغدد وخلايا الكبد وتضحى جميع الأعضاء بمادتها الخاصة للابقـــاء على كمـــال الوسط الداخلى وســـلامة القلب وان الصوم لينظف ويبدل انسجتنا) .

ولعل أشهر مصحة فى العالم الآن هى مصحة الدكتور هيزيج لاهان فى درسدن بسكسونيا ويقوم العلاج فيها على الصوم .

ويعالج الدكتور الظواهرى أمراض الجلد بالصوم لأن الامتناع عن الغذاء والشراب مدة ما يقلل من الماء فى الجسم والدم وهذا بدوره يدعو الى قلته فى الجلد وحينئذ تزداد مقاومة الجلد للأمراض الميكروبية .

قيل للاحنف بن قيس انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فاجاب الاحنف انى اعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه اهون من الصبر على عذابه .

وخير ما نختتم به باب الصوم نذكر ما ورد من آيات بينـــات فى كتابه العزيز قال تعالى :

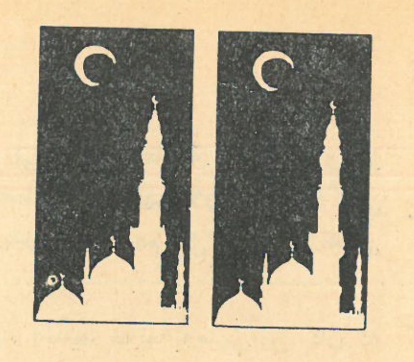
(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون * واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون * أحل لكم ليلة الصيام الرفث (١) الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون (٢) انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض (٣) من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) .

---

(١) الرفث : ملاعبة وما اليها

(٢) تختانون : تخونون

(٣) الابيض : المقصود به نور الفجر الذى يستطيع به الصائم أن يميز بين الخيط الابيض والخيط الاسود



رمضان
فى الشعر العربى

فرض الصيام فى رمضان ليربى فى الناس عاطفة الرحمة والخير من خلال مايحسون به من ألم الجوع والعطش ويمنحهم الارادة القوية التى يستطيعون بها كبح جماح شهواتهم ويدرب نفوسهم على الصبر وتحمل مشاق الكفاح ..

فمن المسلمين من تقبل هذا القيد الجديد طائعا ومنهم من كان له كارها ومنه مغيظا ..

وكان لابد للأدب وهو صوت الحياة ومرآتها أن يتأثر بدوره بهذه الحياة الجديدة التى فرضها الصيام ، والشعراء والأدباء هم أول من يتأثر بما حولهم من أحداث وعلى قدر تأثرهم وما تحمل أنفسهم من مشاعر العاطفة نحو كل حدث جديد يكون تعبيرهم عنه .

واذا حل رمضان مع الصيف كان قاسيا .

عبر عن ذلك ابن الرومى قائلا :

شهر الصيام مبارك
مالم يكن فى شهر آب
خفت العذاب فصمته
فوقعت فى نفس العذاب

وأكمل البيتين آخر قال :

اليوم فيه كأنه
من طوله يوم الحساب

والليل فيه كأنه
ليل التواصل والعتاب

ولما كانت الحياة فى الجزيرة العربية قاسية غاية القسوة ، جافة غاية الجفاف وكان الناس لا يزالون فى تردد من أمرهم قال ذلك المجوسى الذى أجهده الصيام :

وجدنا دينكم سهلا علينا
شرائعه ، سوى شهر الصيام

كان رمضان اذن كريها اليهم غير محبب لنفوسهم . لا بسبب العقيدة ولا بغضا للدين بل لما يقيدهم به من صيانة البطن والفرج من كل ما ينعمون به من مطاعم وملذات ... وهم قوم حديثو عهد بالجاهلية ولم تتعود نفوسهم الخضوع للقيد وقد عاشوا حياتهم فى حرية مطلقة غير آبهين بشىء ولا خائفين من سلطان .

قدم أعرابى على ابن عم له فى الحضر فأدركه شهر رمضان فقيل له يا أبا عمرو لقد أتى شهر رمضان ، قال وما شهر رمضان ؟ قالوا : الامساك عن الطعام والشراب ـ قال أبالليل أم بالنهار ؟ قالوا : بالنهار ـ قال : أفيرضون بدلا من الشهر ؟ فقالوا : لا . قال : فان لم أصم فعلوا ماذا ؟ قالوا : تضرب وتحبس ، فصام أياما فلم يصبر فارتحل عنهم وهو يقول :

يقول بنو عمى وقد زرت مصرهم
تهيا أبا عمرو لشهر صيام
فقلت لهم هاتوا جرابى ومزودى
سلام عليكم فاذهبوا بسلام

فبادرت أرضا ليس فيهـا مسيطر
على ولا مناع أكل طعـام

وقال الفرزدق مستثقلا أيام رمضان :

اذا ما انقضى عشرون يوما تتابعت
اراجيف بالشهر الذى أنا صائمه
ودارت رقاع بالمواعيد بيننا
كما يلتقى مظلوم قوم وظالمه

ويقول آخر متبرما :

ثقل الصوم علينا
أثقل الله عليه
زارنى بالأمس بدر
كنت مشتاقا اليه
فمضى لم أقض منه
حاجة كانت لديه

بل وهناك من تهجم على الشهر الفضيل فقال فيه ما لا يقال :

سقيا لشهر الصوم من شهر عندى له ماشاء من شكر
كم من غرير فيه فزنا به أنهضه الليل من الوكر
وكم امام كان لى وصلة الى كحيل العين بالسحر

وخلة زارتك مشتاقة فى ليلة القدر على قدر
فانصرف الناس بما أملوا وبؤت بالآثام والوزر (١)

وأدرك اعرابيا شهر رمضان فلم يصم فعذلته امرأته فزجرها وأنشأ يقول :

أتأمرنى بالصوم لا در درها
وفى القبر صوم يا أميم طويل

وصحائف التاريخ تروى لك ما كان من أمر هؤلاء الشعراء الذين عاشوا أيام الاسلام الأولى وهؤلاء الذين أظلتهم دولة بنى أمية .

دخل الأخطل فى شهر رمضان على عبد الملك بن مروان وهو يتمايل من فرط ما شرب ، وكان جرير بن عطية الخطفى الشاعر جالسا مع عبد الملك فقال جرير :

أفى رمضان تشربها جهارا
وتدخل للخليفة لا تبالى
أفق يا عبد تغلب لست كفئا
لما حملت عداوات الرجال
ولو شاء الخليفة كان سيفى
مؤدب ذى الضلال من الضلال

(١) بؤت : رجعت .

فأجابه الأخطل :

شربناها ودار بها علينا
أغن مقرطق وافى السبال(١)

اذا سمع المؤذن وهو يدعو
تنكب عنه آخرة الليالى(٢)

ولى دين وللأعراب دين
تشد اليه أكوار الرحال(٣)

فما لابن المراغة يجتوينى
وما يدرى الحرام من الحلال

ولو شاء الخليفة كان عندى
أذل على الطريق من النعال

فغضب الخليفة من جرأة الأخطل وقال له :

(أفى رمضان وتقر بشربها ثم أمر الحرسى أن يقوده الى السـجن) .

فقال جرير :

ستشرب فى السجن التى ما شربتها
بكاس ولا دارت عليك بحان

---

(١) أغن : فى كلامه غنه ، ومقرطق أى لابس حزاما بوسطه وافى السبال: غزير الشعر

(٢) تنكب عنه : مال وابتعد .

(٣) أكوار الرحال : ما يوضع على البعير .

(٤) المراغة : لقب جرير .

فهذا جزاء الكافرين اذا انتهوا
الى غـاية من ذلة وهوان

فأجابه الأخطل وهو مول فى يد الحرسى :

ستسمع ما لم يسمع النـاس مثله
ولا شهد العباد فى رمضـان

اذا ما تهادتها القبائل لم تجد
بآفاقها الا اذل مكان

فرمضان صادف أول ما صادف هؤلاء المتمردين من أمثال الأخطل التغلبى ، ونحن اذا استبعدنا قول الأخطل التغلبى لجرأته ووقاحته بسبب دالته على الخليفـة فماذا نقول فى الوليد بن يزيد الخليفـة الأموى الفاجر الذى استفتح المصحف يوما فاذا هذه الآية الكريمة :

« **وخاب كل جبار عنيد** »

فغضب ونصب المصحف غرضا له ورماه بالسهام وهو يقول :

أتوعد كل جبـار عنيد
فها أنا ذاك جبـار عنيـد

اذا قابلت ربك يوم بعث
فقل يا رب مزقنى الوليد

ماذا نقول فيه وقد جلس فى شـهر الصوم الى (حبـابه) جاريته يبادلها كأسا بكأس حتى اذا لم يبق على الفجر غير ساعة ولم يبق فى

الاناء غير كأس واحدة قال غنينى يا حبابة فتقول له وما يقترح أمير المؤمنين ؟ فيقول مازلت أستحسن قول الأحوص :

لم يبق من رمضان الا ليلة
فكأنها من طولها ليلات

سيغيظ عباد المدينة أننى
أحيا بها وهم بها أموات

ولوى العقيق وماؤه وقطينه
فيه لنا حان وفيه سقاة(١)

ذهب الحجيج اليه لا يلوي بهم
ركن الحطيم ولا دنا عرفات

فغنت به حتى سمع صوت المؤذن للفجر فسكتت حبابه فقال الوليد وهو يكاد لا يبين من سكر :

اذا نعب الغراب فعد عنه
ولا تعتب اذا سكت الهزار

فليت نعيبه لفراق شهر
ننام به اذا طلع النهار

هذا هو الوليد الخليفة الأموى الذى تجرأ على المصحف الشريف . وعلى رمضان المعظم ، وعلى شعائر الدين وتقاليد أمته حتى انتهى الى

---

(١) لوى العقيق : رمله . القطين : الساكنون به .
والعقيق مكان شمال المدينة يصطاف به أهلها .

المصير الذى ينتهى اليه أمثاله من الكفرة والملحدين حيث قتل بعد أسبوع واحد من رميه المصحف الشريف ..

فاذا تركنا الوليد الفاجر والتغلبى الكافر فما نكاد نجد الا شعراء فنانين غلبتهم طبيعة الفن ، ونزعة التمتع بالحياة فما ان يروا شهر رمضان مقبلا حتى يحتالوا للتخلص منه والهروب من لوم اللائمين فيه والمتشددين فى صيامه .. من هؤلاء أبو عمرو الهندى وهو عربى قح ومن أشراف بنى تميم الا أن ولعه بالخمر قعد به عن منزلته وكان أبو عمر أستاذ والبة بن الحباب وأبى نواس وعليه تخرجا فى معانى الخمريات التى ابتكراها وعرفت عنهما وكان أبو عمرو يسكن بغداد فاذا أقبل رمضان فارقها الى فارس حيث يعكف على الشراب فى أبيات المجوس أو الى أديرة النصارى فى الشام وفيها يجد بغيته من الشراب واللهو ويظل كذلك حتى اذا انقضى شهر الصوم عاد أدراجه الى بغداد ومما قال فى ذلك . وكان أبو نواس يتمثل به فى مجالسه ويستجيده :

شهر الصيام دنت منا طلائعه
فارحل لفارس أو فارحل الى الشام

وكيف يعرفنى من لست أعرفه
لا الدار دارى ولا الأقوام أقوامى

حيوا بازهارهم حتى اذا قربت
منها الأباريق حيا جامهم جامى

والظاهر مما يروى من حكايات الاعراب التى مر بنا بعضها والتى سيمر بنا شىء منها وما قرأناه عنهم غير ذلك أنهم كانوا كما قال القرآن الكريم :

« **الأعراب أشد كفرا ونفاقا ، وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله** »

فقد كانوا لا يعرفون من الاسلام الا اسمه ولا من الشرع الا رسمه. ولا يكادون يفقهون شيئا من أصول العبادات لبعدهم فى البادية عن العلماء والواعظين وانشغالهم بأمور الدنيا والنضال فى سبيل العيش فى صحرائهم القاحلة التى لا تجود عليهم الا بالنذر اليسير منْ العشب ترعاه الماشية والأنعام والماء يتبلغون به ويعيشون عليه ..

ومن طريف ما يروى أن اعرابيا دخل على زياد بن أبى سفيان وهو وال بالعراق فى رمضان فقال له بعد أن استقر فى مجلسه : (لقد حانت صلاة العصر) .

فأدرك زياد ما يعنيه فقال له :

(صل حيث أنت) .

قال الاعرابى : ما أردت ذلك فقال زياد : ماتريد يا أخا العرب

قال الاعرابى : أتطعمون غداءكم وعشاءكم معا ؟ فضحك زياد وقال : ألست صائما !؟

قال الاعرابى :

بلى أننى من أول الدهر صائم
وليس بغير الماء لى زاد مفطر

أديم مطال الجوع حتى كأننى
نسيت طعامى بين أهلى ومعشرى

وخيل لى من وطأة الجوع أننى
سآكل درعى أو سآكل مغفرى

ويصرخ بطنى مستغيثا وشاكيا
فيسكته عن غير شىء تصبرى

فأخذ زياد يضحك حتى كاد يستلقى على قفاه وقال : ، للخدم ، قدموا له المائدة حتى لا يأكل درعه .

ونحن على كثرة ما نقبنا فى ديوان الشعر العربى عن رمضان وأخباره لم نجد الا أقل من القليل مما يشفى غليل المؤمن بالله واليوم الآخر ويرسم له الطريق الى الجنة ويصور له عذاب النار ..

وكان بعض الصحابة يحلو لهم أن يتشددوا فى أمور الدين وأن يحاولوا التشبه بصاحب الرسالة الأعظم وهم لا يملكون قدرته النفسية ولا يحملون قوته الروحية ولا يملؤهم ما يملؤه من العزيمة الصادقة والصبر الحقيقى والتوفيق الالهى . وكان عليه الصلاة والسلام اذا وجد أحدهم يقول له :

(يا هذا ان الدين متين فأوغل فيه برفق .. ان المنبت(١) لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) .

فمن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم صوم الوصال . وهو أن يصوم ثلاثة أيام بلياليها لا يفطر فيها وقد أراد كعب ابن مالك وهو أحد ثلاثة شعراء هم : حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه . وكعب بن مالك هذا أراد أن يفعل كما فعل الرسول فيصوم صوم الوصال فنهاه عليه الصلاة والسلام عن ذلك وقال له : (أبيح هذا لى ولم يبح لأمتى) .

فقال كعب رضى الله عنه :

بنفسى وأهلى والذين أحبهم
لصومى صوم الناسكين ذوى البر

---

(١) المنبت : الذى نفقت دابته وانقطع به الطريق .

فان صمته صوم الوصال فانني
قمين بأن ألقى رضاك الى الحشر

وما كبت الأعـــداء الا نكوصهم
عن الخير ما بين المذلة والعسر

ولو شاء ربى كان صومى كله
وصالا فلم يصبح من العام فى شهر

ولم يكن حظ رمضان من شعر دولة بنى العباس أسعد حظا من دولة بنى أمية فلم يمنع السجن أبا نواس وما صبه الخليفة عليـــه من غضبه من أن يعود الى ضلاله وفسقه وفجوره فيقول :

اذا طال شهر الصوم قصرت طوله
بصهباء يحكى الجلنار (١) احمرارها

يقصر عمر الليل ان طال شربها
ويعمل فى عمر النهار خمارها (٢)

وابو نواس حائر فى رمضان لا يجد صديقا يكون ســـكنا له عند شرب الخمر :

لو كان لى سكن (٣) بالراح يسعدنى
لما انتظرت بشرب الراح افطـــارا

(١) الجلنار : زهر أحمر وهى كلمة فارسية معربة .
(٢) الخمار : ما يحس به الشارب عقب زوال السكر
(٣) السكن : الصديق

الراح شىء عجيب أنت شـــاربه
فاشرب وان حملتــك الراح أوزارا

يا من يلوم على صـــفراء صـــافية
صر فى الجنان ، ودعنى أسكن النارا

وهو سادر فى غيه لا يهمه أن يمنع الصوم العقار ..

منــع الصـــوم العقـــارا
وذوى اللهو فغـــارا

وبقينا فى ســـجون ال
صـــوم للهم اســـارى

غـــير أنا ســـندارى
فيه من ليس يدارى

نتغنى ما اشـــتهيناه
من الشـــعر جهـــارا

فاســـقنى حتى ترانى
أحسب الديك حمـــارا

ويثور به الحقد حتى ليتمنى قتل هذا الشهر الذى يؤرقه ويخشى فيه على نفسه من كل مؤمن يعرف الله واليوم الآخر :ـ

الا يا شـــهر كم تبقى
عرضـــنا ومللنـــا كا

اذا ما ذكر الحمد
لشوال ذممناكا

فياليتك قد بنت
وما نطمع فى ذاكا

ولو أمكن أن يقتل
شهر لقتلناكا

ورغم فسقه وفجوره متخفيا فى رمضان فهو يطلب أن يعوض فى شوال أضعاف اضعاف ما فاته فى رمضان فيقول : —

استعذ من رمضان
بسلافات الدنان

واطو شوالا على القصف
وتغريد القيان (١)

وليكن فى كل يوم
لك فيه سكرتان

من بشوال علينا
وحقيق بامتنان

جاء بالقصف وبالعزف
وتخليع العنان (٢)

---

(١) القصف اللهو وشرب الخمر . القيان الجوارى المغنيات

(٢) تخليع العنان : كناية عن المجاهرة بالفسق .

أوفق الأشهر ما أبعدها عن رمضان

وهو لثقته بعفو الله يشرب الخمر ولا يدعها البتة

وثقت بعفو الله عن كل مسلم
فلست عن الصهباء ما عشت مقصرا (١)

ولو أن مالى يستقل بلذتى
لأنسيت أهل اللهو كسرى وقيصرا (٢)

ويجمع بين الخمر والمصحف حين يقول :

وضع الزق جانبا
ومع الزق مصحفا

وأحس من ذا ثلاثة
واتل من ذاك أحرفا

خير هذا بشر ذا
فاذا الله قد عفا

ويخاطب صديقا له صام يوم الشك :

يا عام (٣) لا تبرح من القفص
نشربها صفراء كالحص

---

(١) : الصهباء : الخمر .

(٢) يستقل بلذتى : يكفيها

(٣) ياعام : مرخم ياعامر . القفص : مكان ببغداد مشهور بخمرته . الحص : نوع من الزعفران الذى تصبغ به الثياب .

نسرق هذا اليوم من صومنا
فالله قد يعفو عن اللص

فهو يعرف الله .. ويعرف أنه يعفو ويثيب ويعرف أنه شديد العقاب .. ومع ذلك فهو ساخط على رمضان ناقم عليه فهو الذى أمات لهوه وعطل مجانته .

أبا العبـــاس كف عن الملام
ودع عنك التعمق فى الكلام

فقد وحياة من أهوى وتهوى
أقام قيـامتى شهر الصيام

أمات مجـانتى وأباد لهوى
وعطل راحتى عن المـــدام

ولو أبصرتنى عند السوارى
أطوف عند تأذين الامام

علمت بأننى عذبت نفسا
لها عاد ورسم فى الحرام

فكم لى ثم من تقبيل خد
ومن عض ورشف والتثام

وهو ينتظر على أحر من الجمر ذهاب رمضان ومجىء شوال ليستطيع أن يفسق ويفجر كما يهوى ويشاء .

لقد سرنى ان الهـــلال غدية
بدا ، وهو ممشوق الخيـال رقيق

أضرت به الايام حتى كأنه
سنان لواه باليدين رفيق

وقفت أعزيه وقد دق عظمه
وقد حان من شمس النهـار شروق

ليهن ولاة اللهـو أنك هالك
فأنت بمـا يجرى عليك خنيق

وانى بشهر الصوم اذ بان شامت
وانك يا شوال لى لصـديق

لقد عاودت نفسى الصبابة والهوى
وحان صـبوح باكر وغبوق

هذا الذى ملأ الدنيا فسقا وفجورا يعود فيتجه الى الله صاحب الملك والسلطان بهذا الدعاء :

الهنـا ما أعدلك مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك

لبيك ان الحمـد لك والملك لا شريك لك

والليل لما أن حلك والسابحات فى الفلك

ما خاب عبد سألك انت له حيث سلك
لولاك يارب هلك

لبيك ان الحمد لك والملك لا شريك لك

يا غافـلا ما أغفلك عجـل وبادر أجلك

واختم بخير عملك

لبيك ان العز لك والحمد والنعمة لك

والملك لا شريك لك

الهنا ما أعدلك مليك كل من ملك

وأبو نواس هذا الماجن الذى ارتكب الموبقات وعاش عمره فى الضلال وانتهاك الحرمات تصدمه الحقيقة ويحس بدنو لقائه بربه ولات ساعة مندم ٠٠ وهو يتوسل الى خالق السموات والارض فى أبيات تعد من أبلغ ما جاء فى لغة الكلام قال :

شهر الصيام غدا مواجهنا
فليعقبن رعية النسك

أيامه كونى سنين ، ولا .
تفنى فلست بسائم منك

وهو القائل فى أخريات أيامه :

يارب ان عظمت ذنوبى كثرة
فلقد علمت بأن عفوك أعظم

ان كان لا يرجوك الا محسن
فبمن يلوذ ويستجير المجرم

أدعوك رب كما أمرت تضرعا
فاذا رددت يدى فمن ذا يرحم

مالى اليك وسيلة الا الرجا
وجميل عفوك ثم انى مسلم

وقد ذكر محمد بن ابراهيم بن كثير الصوفى انه دخل على أبى نواس فى علته التى مات بها وكان معه على بن صالح الهاشمى فقال له : يا أبا نواس أنت فى أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وبينك وبين الله عز وجل هنات فتب الى الله فبكى ساعة ثم قال ساندونى ٠٠ ساندونى .

ثم قال : أبا الله تخوفنى وقد حدثنى حماد بن مسلم عن الرقاشى عن أنس بن مالك قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل نبى شفاعة وقد جعلت شفاعتى عنى لأهل الكبائر من أمتى يوم القيامة » .

افترانى لا أكون منهم ؟ ثم أنشد :

لهف نفسى على ليال وأيام تجاوزتهن لعبا ولهوا

قد أسأنا كل الاساءة ، فاللهم صفحا عنا وغفرا وعفوا

ولم يضق أبو نواس برمضان كما كان يضيق به غيره لأنه كان لا يتورع أن يجهر بعصيانه ويبوح بآثامه غير خائف لوما ، ولا مبال ذما ولكن الذى ضاق برمضان ضيقا شديدا هو ابن الرومى الذى كان لا يستطيع ان يصبر على طعام ولا ان يحبس نفسه عن لذة فكان نهما بالحياة ، عابدا لها منقطعا اليها لا يكاد يصبر عن فراق المتعة فيها لحظات فما بالك بساعات فهو لهذا من أشد الساخطين على رمضان ومن أعظمهم هجاء له وترجع شدة هجائه اياه الى قوة شعره ، وعرضه لمعانيه فى صورة أخاذة مثيرة وساخرة فى بعض الأحايين قال فى ذلك :

شهر الصيام وان عظمت حرمته
شهر طويل ثقيل الظل والحركة

يمشى الهوينى فاما حين يطلبنا
فلا السليك يدانيه ولا السلكة (١)

كأنه طالب ثأرا على رمك
أجد فى أثر مطلوب على رمكه

أذمه غير وقت فيه أمدحه
منذ العشاء الى ان تسقع الديكة (٢)

يا صدق من قال أيام مباركة
ان كان يكنى عن اسم الطول بالبركه

شهر كأن وقوعى فيه من قلقى
وسوء حالى وقوع الحوت فى الشبكة

ويقول ابن الرومى فى نفس المعنى :

رمضان يزعمه الغواة مباركا
صدقوا وحقك انه لطويل

شهر لعمرك لا يقل قليله
وكذا المبارك ليس منه قليل

تتطاول الأيام فيه بجهدها
فكان عهد الامس منه محيل

لو انه للقاطنين مسافة
لحسبت ان الشهر منه ميل

---

(١) السليك والسلكة : من عدائى العرب المشهورين ومن صعاليك الشعراء
(٢) تسقع الديكة : تصوت بصوتها

وقوله :

شهر الصيام مبارك لكنما
جعلت لنا بركاته فى طوله

من كان يألفه فليت خروجه
عنى بجدع الانف قبل دخوله

انى ليعجبنى تمام هلاله
وأسر بعد تمامه بنحوله

شهر يصد المرء عن مشروبه
مما يحل له وعن مأكوله

لا أستثيب على قبول صيامه
حسبى تصرمه ثواب قبوله

ويقينا ان حياة البادية وما فيها من شظف العيش وقسوة الحر لها أثرها فيما قاله الشعراء فى هجاء رمضان كما ان الذين عاشوا فى الحضر كان من العسير عليهم ان يصوموا عن الخمر وأن يكفوا عن طلب الملذات فاننا على طول ما نقبنا فى أخبار الشعر والشعراء فى هذه الفترة من الزمن نجد ان ما قيل فى هجاء رمضان يطغى على ما قيل فى مدحه .. ويقينا أيضا ان شعراء هذين العصرين عصر بنى امية وعصر بنى العباس كانوا يؤمنون باليوم الآخر وبالعقاب وبالله خالق السموات ـ والأرض حتى ان الفاسق الماجن ابا نواس كتب ماكتبه فى آخر حياته متوسلا الى الله أن يعفو عن ذنوبه .. الا أن الذى لا شك فيه ان حياة البادية التى عاشها هؤلاء الشعراء كانت تباعد بينهم وبين رمضان .

قل لشهر الصيام أنحلت جسمى
ان ميقاتنـــا طلوع الهــلال

اجهــد الآن كل جهـدك فينــا
ســترى ما يكـون فى شــوال

ويقول آخر ساخرا :

نبئت أن فتــاة كنت أطلبهــا
عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

والذين عضهم الجوع وعذبهم الفقر لم ينسوا أن يصفوا حالهم وما يلاقونه فى هذا الشهر قال ابن سكرة الهاشمى ·

وهنوا بالصــيام فقلت مهــلا
فانى طــول عمرى فى صيام

وهــل فطر لمن يمسى ويضحى
يؤمل فضــل أقوات اللئــام

حتى الذين مدحوا رمضان لم يمتدحوه لمشاعرهم نحو رمضان وانما مدحوه من خلال مدحهم للخلفاء الذين كانوا كلما أقبل رمضان فتحوا دار الخلافة للشعراء يأكلون ويشربون ويمدحون ·

قال البحترى يمدح الخليفة :

بالبر صمت وانت اكرم صــائم
وبســنة الله الرضــية تفطر

فلما جاءت دولة الفاطميين ، وامتدت ظلالهــا الوارفة على العـرب

بالخير · وجعلت من رمضان موسما كريما للبذل والعطاء أختفى أو كاد ما كان يقوله الشعراء فى هجاء رمضان بل ان الشــعراء تنافسوا لا فى اظهار مشاعرهم نحو هذا الشهر المبارك الذى اظل على الانســانية فى مشارق الأرض ومغاربها بالخيرات والبركات وانما تنافسوا وأسرفوا فى الحديث عن مباهج رمضان وخيرات رمضان التى كان يجـود بهــا الفاطميون تمكينا لدعوتهم وتحبيبا للناس فى مذهبهم ·

تحدثوا وأطالوا الحديث فى الكنافة والقطائف وأنواع الحلوى التى ابتدعها الفاطميون . تحدثوا وأطنبوا فى الحديث عن الفانوس كمظهر من مظاهر الحفاوة برمضان واكتسب هذه العادة من جاء بعدهم فى العصر الأيوبى والعصرين المملوكى والتركى ·

قال ابن نباتة فى الكنافة :

يا سيدى جاءتك فى صــدرها
كأنهــا روحى فى صــدرى

كنــافة بالحــلو محشــوة
كما تقــول العســل المصرى

قــد خنقتنى عبرتى كاســمها
وبادرت من خلفهــا تجــرى

ما خــرج الفســتق من قشره
فيهــا وقد أخرجت من قشرى

ونشرهــا من طيبهــا لــم يفح
فأعجب لســوء الطى والنشر

فهــاك حــلوا قد تكفلته
ولا تســل عنى وعن صــبرى

كأنهـا الدميـة لكنهـا
لا نفحة العطر ولا القطـر

لا زلت فى الدهر كمـا تبتغى
وفـوق ما تبغى من الدهـر

وقال سعد الدين بن عربى :

وقطائف مقرونة بكنـافة
من فوقهن السـكر المـذرور

هـاتيك تطربنى بنظم رائـق
ويروقنى من هـذه المنثـور

وقال ابن يحيى بن ابى منصور المنجم :

قطائف قد حشـيت باللوز (١)
والسـكر الماذى حشـو المـوز

تسبح فى آذى دهن الجوز (٢)
سررت لما وقعت فى حـوزى

سرور عباس بقـرب فـوز (٣)

---

(١) الماذى : العسل
(٢) الآذى : الموج
(٣) فوز : هى معشوقة العباس بن الاحنف

ولابن نباته :

أقول وقد جاء الغـلام بصحنه
عقيب طعـام الفطر يا غاية المنى

بعيشك قل لى .. جاء صحن قطائف
وبح باسم من أهوى ، ودعنى من الكنا

وله ايضا :

رعى الله نعمـاك التى من أقلهـا
قطائف من قطر النبات لها قطر

أمد لهـا كفى فأهتز فرحـة
« كما انتفض العصفور بلله القطر »

والسراج الوراق :

قطـائفك التى رقت جسـوما
لماضـغها كما كثفت قـلوبا

كغيم رق لـكن فيـه قطـر
غدا ارعى الجـديب به خصيبا

وللمعلم المرصفى :

وحقك ما أوليتنى من قطـائف
الذ وأحلى من وصـال القطائف

---

(١) تورية يشير بها الى منيين : الكنى جمع كنية وأكلناها بمعنى الكنافة .

وقد ضمنت مثل العتاب حلاوة
الم ترها ملفوفة كالصحائف

وقال مظفر الأعمى فى وصف الفانوس :

ارى علما للناس فى الصوم ينصب
على جامع ابن العاص اعلاه كوكب

وها هو فى الظلماء يبدو كأنه
على رمح زنجى سنان مذهب

وما الليل الا قانص لغزالة
بفانوس نار نحوها يتطلب

ولم أر صيادا على البعد قبله
اذا قربت منه الغزالة يهرب

وقال ابن الظافر :

وليلة صوم قد سهرت بجنحها
على انها فى طولها تعدل الدهرا
حكى الليل فيها سقف ساج مسمرا
من الشهب قد أضحت مساميره تبرا

وقام المنار المشرق اللون حاملا
لفانوسه والليل قد لبس الزهرا

كما قام رومى بكأس مدامة
وحيا بها زنجية وشحت درا

فلم نعد نسمع كما كنا نسمع من قبل

الغوث من شهر الصيام
اذ صار لى مثل اللجام

ما ان امتع بالنسا
ء وبالطعام ولا المدام

ولا قول النواس :

شربت الخمر . فى رمضان حتى
رأيت البدر للشعرى شريكا
فقال اخى الديوك مناديات
فقلت له وما يدرى الديوكا

ولا قول ابن الرومى :

شهر الصيام وان عظمت حرمته
شهر طويل ثقيل الظل والحركة

ذلك لأن الشعراء قبلهم كانت تغلبهم طبيعة الفن فى عصور كان رمضان فيها على صورته الحقيقية التى يعيشها الناس فى انقطاع للعبادة وانصراف عن الشهوات كافة وابتعاد عن الملذات جميعا وعكوف على

العبادة وتوجه الى الله بالخشوع والدعاء بالليل والنهار اغتناما لرضاه وطلبا لرحمته وكان من يشذ من الناس أو من الشعراء عما الفه الجمهور فقد خرج على الجماعة بالمعصية وكان جزاؤه الضرب أو السجن فضلا عما يصيبه من أضرار أخرى كالتشهير به بين العامة بصورة ترتعد منها فرائص الشعراء أو اجباره على التخفى عن العيون والانزواء بعيدا عن المجتمع وناهيك بمافى ذلك من اضرار مادية محققة .

أما عصر الفاطميين وما تلاه من عصور فقد خفت الوطأة وسهلت الاحكام ولم يتشدد الولاة فى توقير رمضان وصون شعائره كما كان أولا وأصبح رمضان مصدر الخير وسبيلا للتنعم باطايب الطعام والحلوى فى ذلك الى حد اختراع صنوف لم تكن موجودة من قبل أو كانت موجودة ولكن فى أضيق الحدود فى قصور الامراء والخلفاء وأشباههم .

على ان ما مدح به الشعراء رمضان لم يحدثونا فيه عن مشاعرهم نحوه وانما جاء مدحهم له من خلال مدحهم للخلفاء .

قال الامير تميم بن المعز لدين الله يهنى به الخليفة العزيز بشهر الصوم .

ليهنك ان الصوم فرض مؤكد
من الله مفروض على كل مسلم

وانك مفروض المحبة مثله
علينا بحق قلت لا بالتوهم

فهنأته يا من به الله قابل
من الخلق فيه كل نسك مقدم

ولازلت منصورا على فرض صومه
ومعتصما بالله من كل محرم

وقال :

شهر الصيام أجل شهر مقبل
ولديه يمحص كل ذنب مثقل

وكذاك أنت أبر من وطىء الحصا
واجل ابناء النبى المرسل

يا حجة الرحمن عند عباده
وشهابه فى كل أمر مشكل

من لم يكن فى صومه متقربا
بك للاله فصومه لم يقبل

ولعمارة اليمنى :

وهنئت من شهر الصيام بزائر
مناه لو ان الشهر عندك أشهر

وما العيد الا أنت فانظر هلاله
فما هو الا فى عدوك خنجر

ولهبة بن الرشيد جعفر بن سناء الملك :

تهن بهذا الصوم يا خير صائم
الى كل ما يهوى ويا خير صائم

ومن صام عن كل الفواحش عمره
فأهون شىء هجره للمطاعم

وقال آخر :

نلت فى ذا الصيام ما ترتجيه
ووقاك الاله ما تتقيه

انت فى الناس مثل شهرك فى الاشـ
ـهر أو مثل ليلة القدر فيه

فرمضان هنا مناسبة قيل فيها الشعر لمدح الخليفة وليست موضوعا ولا فنا اصيلا من فنون الشعر العربى .

وحتى الذين عبروا عن مشاعرهم نحو رمضان لم يعبروا عن المفاهيم الحقيقية لهذا الشهر المعظم وما جاء به من تعاليم من أجل خير الناس أجمعين .

قال الصاحب بن عباد :

قد تعدوا على الصيام وقالوا
حرم الصب فيه حسن العوائد

كذبوا فالصيام للمرء مهما
كان مستيقظا اتم الفوائد

موقف بالنهار غير مريب
واجتماع بالليل عند المساجد

وما لهذا فرض الصيام وانما لحكمة من لدن ربك أجل وأعظم واسمى وما الوقوف غير المريب بالنهار والاجتماع بالليل فى المساجد الا مظهرا من مظاهر هذا الشهر الكريم .

ورمضان فى الشعر العربى المعاصر يحلق شعراؤه احيانا ويهبطون احيانا لكنه فى الحالتين ليس رمضان الذى قال فيه ابو نواس :

أستعذ من رمضان
بسلافات الدنان

واطو شوالا على القصـ
ـف وتغريد القيان

ولتكن فى كل يوم
لك فيه سكرتان

لم يعد رمضان الذى يقول فيه ابو نواس فى قحة وابتذال :

تأهب يوم فطرك للمعاصى
وخذ شوال ويحك بالقصاص

وصل أيامه بالليل حتى
ترى الستين ليس بذى انتقاص

ولم يعد رمضان الذى يقول فيه الشاعر فى مدح الخليفة :

لئن كان شهرالصوم أفضل حوله
لفضلك فى ابناء جنسك أفضل

وان تك فيه ليلة القدر أنها
لفيك معانيها التى تتأول

وحسبك ان الصائمين له اذا
طووا عنك فيه النصح لم يتقبلوا

فلم يعد للشعر وقفة عند باب الخليفة يستجدى أكف العطاء .
ولم يعد رمضان بابا يقصده الشعراء بالذم والهجاء . فللدين هيبته التى يقف عندها كل مشرك ضال عن سبيل الهداية .

انه رمضان الخير الذى يرجع الروح الى منبعها الازلى فتبرأ من ادران الحياة وتتخلص من مباذل الدنيا وتتجه الى الله خالق السموات والأرض داعية مبتهلة مكبرة .

انه رمضان الضيف الكريم الذى يعاود كل عام حاملا سننا علوية النظام كما يصوره الشاعر محمود حسن اسماعيل

أضيف أنت حل على الأنام
وأقسم أن يحيا بالصيام

قطعت الدهر جوابا وفيا
يعود مزاره فى كل عام

تخيم لا يحد حماك ركن
فكل الأرض مهد للخيام

نسخت شعائر الضيفان لما
قنعت من الضيافة بالمقام

ورحت تسن للاجواد شرعا
من الاحسان علوى النظام

بأن الجوع حرمان وزهد
اعز من الشراب أو الطعام

وهو يصور الصائمين المترقبين صوت المؤذن منتظرين فى خشوع وفى رهبة نداءه .

جعلت الناس فى وقت المغيب
عبيد نداءك العاتى الرهيب

كما ارتقبوا الأذان كأن جرحا
يعذبهم تلفت للطبيب

واتلعت الرقاب بهم فلاحوا
كركبان على بلد غريب

عتاة الأنس أنت نسخت منهم
تذلل أوجه ، وضنى جنوب

ولكنه يصور المآذن ونورها الذى كأنه وحى يذكر بالهداية ويملأ النفوس بالايمان ويدفعها الى الخير والمحبة والسلام بهذه الأبيات :

تلفتت المآذن حالمات
كحوريات خلد سافرات

تضوع مباخر النساك منها
فتحسبها غصونا عاطرات

تلألأ حولها أطواق نور
مضيئات بحبك هائمات

كأنك حامل وحيا اليها
وقفن بسحره متلهفات

اذا صاح الأذان بها ارنت
بالهام كموج البحر عات

يذكر بالهداية كل ناس
ويوقظ كل غاف للحياة

هو رمضان التبتل والتهجد الذى تفزع اليه النفوس لتطهر من أوزارها كما يصفه الشاعر محمود جبر :

رمضان يا طهر النفوس
هرعت استجديك رفدك

وأصون يومك فى حديـ
ـث لا يطابق منك قصدك

وأقوم ليلك فى التبـ
ـتل ابتغى الأنوار عندك

يا معبد المتهجد
ين فزعت أستهديك رشدك

ضل الذى لا يستطيـ
ـب شذا رباك ، وعاف وردك

هو رمضان الذى عاش الشاعر عدنان مردم مع النغم الحلو الذى يملأ سمع الزمن :

كبر الله فشاعت نشوة
فى السما رددت الارض صداها

نغم حلو تعالى داويا (١)
فأعارته الدنى السمع انتباها

ذعر الليل له فانتشرت
بددا اسدانه مما دهاها

أى سحر نفث الداعى الذى
هب فى جنح الدجى يدعو الالها

فرأيت الحق بالعين التى
أنزف الشوق الى الحق بكاها

وتجلى الله للقلب الذى
تابع الدنيا على نهج خطاها

هو شهر العبادة وغفران الذنوب فى قول الشاعر محمد الأسمر :

رعى الله شهر الصوم أما نهاره
فغاف . وأما ليله فهو ساهر

وحيا رجالا حين لاح هلاله
مشت بينهم مشى النسيم البشائر

بطان اذا ما الشمس أرخت قناعها
خماص اذا ما أقبلت وهى سافر (٢)

خضوعا لمن فوق السموات عرشه
ويعلم منهم ما تكن السرائر

---

(١) صحتها : مدويا .
(٢) خماص : جياع .

تعـــاليت ماصـــمنا لغيرك برهة
نجوع كما بينت والزاد حاضر

ونمســـك عنه صـــابرين كأننا
اذا ماصبرنا عنه فالجوع صـــابر

تعاليت لم تأمر ضعيفا بصومه
ولكن أمرت المرء والمرء قـــادر

الهـــى أجرنا من ذنوب كثـــيرة
الهـــى واغفر لى فانك غـــافر

وثبت فؤادى ان يميل به الهوى
فيعثر بى والقلب بالمـــرء عاثر

أعنى على نفسى ففى النفس جامح
من الطبـــع حـــران الجوانح ثائر

هو الله فاعبده العبادة حقهـــا
اذا راح يلهو بالعبادة فاجر

هو رمضان الذى تتجه فيه النفوس الى الله فى خشوع وايمان ـ رمضان الذى يقول فيه الشاعر مصطفى حمام :

حدثونا عن راحـــة القيد فيه
حدثونا عن نعـــمة الحـــرمان

هو للنـــاس قاهر دون قهـــر
وهو سلطانهم بلا ســـلطان

قال جوعوا نهاركم فأطاعوا
خشعا ، يلهجون بالشكران

أفسحوا لى فى الذاكرين مكانا
ومكانا فى مجلس القـــرآن

هيئوا لى منارة احتفى بالفجر
فيهـــا مجلجـــلا بالآذان

ان أيامـــك الثـــلاثين تمضى
كلذيذ الأحـــلام للوســـــنان

كلما سرنى قدومك أشـــجا
نى نذير الفراق والهـــجران

وستأتى بعد النـــوى ثم تأتى
ياترى هل لنـــا لقـــاء ثان ؟

هو رمضان الخير والبشر ، والنور الذى قال فيه محمد هارون الحلو :

قدس من الصبوات، فى نفحاته
ماشاء كل متيم ان يســـتقى

لقد استدار به الزمان على الورى
فتزاحموا حول الربيع المونق

خفوا به وقد استخف نفوسهم
فيض الجلال به وحسن الرونق

مرحى هلال الصوم عدت بطلعة
وضـــاءة وسنى جبين مشرق

هو ذلك الشهر الكريم تحدثت
عنه السـماء بسرها المستغلق

نزل الكتاب به مواكب رحمة
وهـدى يؤيد كل بر صـيدق

مس العقول فشب فيها ثورة
واضـاء حالكة الظـلام المطبق

وحتى الذى شمت فى رمضان وتمنى انقضاء أيامه وهو الشاعر احمد شوقى فهو شامت فى أدب وخوف من الله :

رمضان ولى هـاتها ياساقى
مشتاقة تسـعى الى مشـتاق

ما كان أكثره على آلافهـا
واقله فى طاعة الخـلاق

الله غفار الذنوب جميعهـا
ان كان ثم من الذنوب بواقى

وقالت الشاعرة روحية القلينى :

رمضان أقبل بعد طول حنينى
فيه الهدى، فيه فضـائل دينى

أتلو كتـاب الله فيه تبتـلا
آياته قدسـية تهـدينى

وأقول ياربى بحقك فاهـدنى
لرضاك ان رضـا الاله يقينى

وأنر اله الكون دربى كلمـا
ضلت خطاى ومن سواك معينى

أنا انضللت فليس غيرك منقذى
واذا جهلت هـديتنى لشئونى

واذا ظمئت سـقيتنى فرويتنى
من نور علمك والهدى تسقينى

وخير مانختتم به رحلة الشعر العربى مع رمضـان ماكتبه الشاعر أحمد مخيمر مناجيا الشهر الكريم :

أنت فى الدهـر غرة وعلى الار
ض سـلام وفى السـماء دعاء

وبـكل القـلوب أنت رجـاء
وبكل النفوس أنت ضـياء

يتلقاك عند لقيـاك أهل الـ
ـبر والمؤمنون والاصفياء

فلهم فى النهار نجوى وتسبيـ
ـح وفى الليـل أدمع ونـداء

ليلة القدر عندهم فرحة العمـــ
ر تدانت على سناها السماء

وتجلى لنـــا بهـا الغيب حتى
ماعليه دون العيـــون غطــاء

فى انتظار لنورها كل ليـــل
يتمنى الهـدى ويدعو الرجـاء

وتعيش الأرواح فى فلق الأشوا
ق حتى يبـــاح فيهـا اللقـاء

فاذا الكون فرحة تغمر الخلـ
ـــق اليهـــا تبتل الأتقيـــاء

واذا الارض فى ســـلام وأمن
واذا الفجـــر نشـــوة وصفاء

وكأنى أرى الملائكة الأبـــ
رار فيهـــا وحولهـا الأنبيـاء

نزلوا فوقها من الملأ الأعلـــ
ـــى فأين الشقاء والأشقياء



الأغنية الرمضانية

لشهر الصيام فى التاريخ الاســـلامى منزلة ممتازة استمدها من اختصاصه بهذا النوع الروحى من العبادة فقد فرض فيه الصيام وسيلة لتأديب النفس ، وتهذيب الخلق وتحطيم الاثرة وتحرير الانسان من عبودية العادات والتعاون على البر ، والتسابق فى الخير ، والمناصرة فى الشدة ٠

لهذا لم يكن للأغنية الرمضانية مكان ملحوظ فى أدب رمضان ٠ فقد كان الناس فى أيام الرسول عليه الصلاة والسلام وعهد الخلفاء الراشدين يتخذون من رمضان موسما كريما لعبادة الله يتســابقون فيه الى رحمته ويتجهون اليه لتوثيق ماوهى بين القلب والدين بصــوم الجوارح عن كل مكروه وتعويض مافات باصلاح مافسد ، وتقويم ما اعوج من السلوك طوال العام ونهى النفس عن الهوى حتى تصفو بالتقرب الى الله عز وجل ٠

لقد كانوا يعيشون نهار رمضان فى عبادة ويحيون لياليه فى المسجد الحرام يصلون ويتلون القرآن وينشدون الابتهالات ٠ وكتاب الله لهم نور وسنته واحكامه لهم دستور ٠

ولم يكن عصر بنى أمية الا امتدادا لعصر الخلفاء الراشدين فقد كان موقف الخلفاء فيه من الصــوم موقف الرقيب لا تغفل له عــين عن أخذ المفطرين بالعقاب ٠ وكان التشدد فى أمور الدين يدخل فى نطاق الأعمال التى يكلف المحتسب بأدائها ٠ وكان المسلمون يجتمعون فى المساجد ليلا يتدارسون الفقه والحديث ، وكان فقهاؤهم حريصين على تزويدهم بالمفاهيم الجديدة التى نزل بها القرآن الكريم ٠

ولقد بلغ من أمر تمسك الخلفاء بدينهم وتشددهم فى أموره ان قدم

الشعراء الى باب عمر بن عبد العزيز فقاموا به أياما لا يؤذن لهم فى الدخول حتى قدم عدى بن أرطاة عليه وكان منه بمكانة فتعرض له جرير قائلا :

يا أيها القارىء المرخى عمامته
هذا زمانك انى قد مضى زمنى

ابلغ خليفتنا ان كنت لاقيـــه
انى لدى الباب كالمشدود فى قرن (١)

لا تنس حاجتنـــا ؛ لقيت (٢) مغفرة
قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى

قال : نعم يا أبا عبد الله ٠٠ فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال : يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وألسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة : قال مالى وللشعراء ٠

فقال يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح فأعطى وفيه اسوة لكل مسلم قال عمر : صدقت فمن بالباب منهم قال الأخطل التغلبى قال عمر أليس هو القائل :

ولست بصـائم رمضـان عمرى
ولست بآكل لحم الأضـاحى

ولست بزاجر عيســا بكـورا
الى أطـلال مكة بالنجـاح

ولست بقـائم كالعبد يدعـو
قبيل الصـبح حيى على الفلاح

---

(١) القرن : الحبل

(٢) بالبناء للمجهول وتشديد القاف المعجمة ٠

ولكنى سأشربها شمولا

وأسجد عند منبلج الصباح

أبعده ؛ أبعده الله عنى فوالله لا يدخل على أبدا ولا وطىء لى بساطا وهو كافر ٠

ولم نجد فى ظل دولة بنى العباس ظلا للأغنية الرمضانية ٠ فرغم عناية الخلفاء بالفن وشغفهم به وحبهم للموسيقى والغناء فلم ترد الأغنية الرمضانية على ألسنة أساطين الغناء مثل ابراهيم الموصلى أو علية بنت المهدى أو دنانير وغيرهم ممن كانوا يملئون ليالى عصر بنى العباس شدوا وغناء ذلك لمنزلة رمضان فللدين فيه سلطانه الذى يعلو كل سلطان وللخلق والفضيلة مكان أعزز به من مكان ٠

ثار هارون الرشيد وأمر بحبس أبى نواس حين مد عينه لشهوة الحياة وأغوته فتنتها عن سبيل الله اذ قال :

لو كان لى سكن بالراح يسعدنى

لما انتظرت بشهر الصوم افطارا

الراح شىء عجيب أنت شاربه

فاشرب وان حملتك الراح أوزارا

يامن يلوم على صهباء صافية

صر فى الجنان ودعنى أسكن النارا

وحتى فى عصر الفاطميين وعلى الرغم من كثرة ما استجد فيه من البدع وعدم التشدد فى أمور الدين كما كان فى عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم وبالرغم من كثرة ماقيل من شعر فى استقبال رمضان وفانوس السحور وموائد الكنافة والقطائف ، وبالرغم من مظاهر الأبهة

والجلال فى أعيادهم وولائمهم ولياليهم التى كان منها عيد الفطر وعيد الأضحى ورأس السنة وأول العام ويوم عاشوراء وليلة مولد الرسول (ص) وغيرها وغيرها ٠

هذه الأعياد التى رثاها عمارة اليمنى بعد انقراضهم واستيلاء صلاح الدين بن أيوب على المملكة بقصيدة وصف فيها مواكبهم وحكى مكارمهم وجلى محاسنهم قال :

(دار الضيافة) كانت أنس وافدكم

واليوم أوحش من رسم ومن طلل

و (فطرة الصوم) اذ أضحت مكارمكم

تشكو من الدهر حيفا غير محتمل

و (كسوة الناس) فى الفصلين قد درست

ورث منها جديد عندهم وبلى

وموسم كان فى يوم (الخليج) لكم

يأتى تجملكم فيه على الجمل

و (أول العام) و (العيدين) كم لكم

فيهن من وبل جود ليس بالوشل

والارض تهتز فى يوم (الغدير) كما

يهتز مابين قصريكم من الأسل

والخيل تعرض فى وشى وفى شية

مثل العرائس فى حلى وفى حلل

وما حملتم قرى الأضياف من سعة
الا طبـــاقا على الاكتاف والعجل

أقول رغم هذا فان الأغنية الرمضانية لم يكن لها وجود الا على ألسنة المكلفين بايقاظ الناس لطعام (السحور) وأغنية جاءت على السنة الأطفال يطوفون وهم بفوانيسهم يرددونها ويقولون ٠

احوى احوى   اياهـــا
بنت السلطان   اياهـــا
لابسة قفطان   اياهـــا
بجـــلاليبه   اياهـــا
ياللا نجيب له   اياهـــا

ومعناها ان الطفل الذى يردد هذه الأغنية كان يتمنى أن يحوى عنده بنت السلطان ذات الثياب الفاخرة المحلاة بالجلاجل الذهبية ٠

وبينما يرجع بعض المؤرخين هذه الأغنية الى عهد الفاطميين يرجعها الآخرون الى عهد قدماء المصريين فقد حققها الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف تحقيقا علميا جاء فيه : (قد لا يعرف الكثيرون ان أغنية وحوى أقدم من رمضان ومن عادات رمضان وانهـا من الأغـــانى التى كان يرددها قدماء المصريين على ضفاف النيل منذ آلاف السنين فهي تحمل معنى من تاريخنا ودلالة من دلائل أساطيرنا) واستطرد فقال :

فأيوحه مأخوذة من ايوح اسم القمر فى الفرعونية وكان الساميون يسمون الشمس ايوح ومنه (يهوه) اسم الله المقدس عند اليهود كما كانوا يسمون القمر (اجع) ولكن المصريين نقلوا عنهم اسم القمر للشمس

واسم الشمس للقمر فكانوا يغنون هذه الأغنية تحية للقمر اذا أهل فى مطلع كل شهر ٠

ولم تعرف الأغنية الرمضـــانية فى أيام الممـــاليك والعصر التركى بمفاهيمها ولم نســمعها الا على ألســـنة الرواة والمداحين ينشدونها فى سهراتهم فى حى الحسين كالملاحم الشعبية وقصص البطولة والمواويل التى منها :

يالى عليك الغرض يوم العرض مش سائل
بكره عليه تنسئل والرب لك ســـائل
احسب حســـاب وقفتك وانت ذليل سائل
وخجلتـك فى القيـــامة بين ايدين الله
من العـــرق فى غرق والدمع لك سائل

ولم نستمع من المنشدين أمثـــال عبده الحمولى وسلامه حجازى وسيد درويش وغـيرهم ممن جاءوا فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن أغنيات عن رمضان اللهم الا بعض نصوص هابطة فى مبناها ومعناها جاءت على ألسنة صغار المغنين والمنشدين تعارض أغنية وحوى وحوى ٠

والأغنية الوحيدة التى اشتهرت عن رمضان أيام الاذاعات الأهلية هى أغنية (وحوى) التى كتبها حسين حلمى المانسترلى ولحنـــها أحمد شريف وغناها احمد عبد القادر منذ خمسة وثلاثين عاما وتقول كلماتها الساذجة :

وحـــوى   وحـــوى   اياحـه
رحت   يا شـــعبان   اياحـه
وحوينا الدار   جيت يارمضان
وحـــوى

هل هلالك والبدر اهو بان
شهر مبارك وبقاله زمان
ما أحلى نهارك بالخير مليان
جيت بجمالك سقفوا يا عيال
م احلى صيامك فيه صحة وعال
نفدى وصالك بالروح والمال
طول م نشوفك قلبنا فرحان
فى الدار خيرك اشكال والوان
بكره فى عيدك يلبسوا فستان
هاتى فانوسك يا اختى يا احسان
آه يا ننوسك فى ليالى رمضان
بابا يبوسك وماماكى كمان
وحوى

ولم يلمع النص الجيد للاغنية الرمضانية الا مع نشأة الاذاعة وتكليفها الشعراء ومؤلفى الغناء بوضع الاغنية الرمضانية : —

فمن خلال الاثير استمعنا الى امال حسين تغنى من الحان القصبجي وشعر محمود حسن اسماعيل :

ليالى حسان
وشهر امان
رعى الله فيه عيون الزمان

فما فيه شكوى لقلب يتيم
ولا بائس لم يزره النعيم

سقى الله أيامه بالحنان
وأجرى بكفيه سحر الاذان

نداء رخيم وصوت رحيم
وطهر ينور قلب الزمان

ليالى صفاء
ودنيا غناء
ونور يهلل بين الفضاء

وترتيل ربى يهز القلوب
ويمحو من الارض خطو الذنوب

وفوق المآذن يهفو الضياء
وفى كل قلب يرن الدعاء

دعوناك يارب رد الخطوب
وبارك خطانا بنور السماء

وهكذا تطورت كلمات الاغنية الرمضانية . لم تعد وحوى ولا ايوحه وانما اصبحت كما ابدعت ريشة عبد الفتاح مصطفى :

مابقاش وحوى ولا ايوحـه

بقى مستقبل مرسوم لوحه

فى الجيه قصادنا وفى الروحه

وطريقنا طريق واضح ومضىء

من غير عصبية ولا تفريق

نعلا ونكبر

رمضان الخير لياليه بتدور

وتوحدنا وجدان وشعور

وقلوبنا تكون عقد ومبدور

يوصلها ويجمعها على نور

نور مالى الارض مع السموات

وقلوبنا اكتر

الله اكبر

رمضان الذى حمل البر للمسكين وملأ القلوب بنور اليقين كما وصفه الشاعر محمود وحسن اسماعيل فى أغنيته توبة الزمن

سلاما ناسك الزمن

حبيب الروح والبدن

سلام النور والايمان

سلام الحب يا رمضان

سلام الطائر الظمآن

لنبع لاح فى البستان

سكبت النور للأكوان

وزاد الروح للانسان

ورحت تعطر الأزمان

وتوقظها من الوسن

***

حملت البر للمسكين

وللعاصى مددت يمين

وسقت لقلبه البشرى

بعفو كان عنه ضنين

بنور هدى • ونور يقين

أضأت سريرة الزمن

***

اذانك توبة الايام

وفجرك منبع الالهام

ويومك ــ رحمة وسلام

وليلك سجدة وقيام

فهات البر والانعام

وجدد فرحة الزمن

بجودك غنت الحسنات
ورنت حولك الصلوات
وهلت فوقك الرحمات
ينابيعا من الجنات
تبيد بظلها الشهوات
وما فيهــا من الفتن

رمضان شهر الكرامة شفيع المسلمين يوم القيــامة كما صـــوره الشاعر صالح جودت فى انشودة رمضان

الليــالى الحلوة هله والمــدن أنوارها طــله
كل عام بتغيب وترجع بالسلامة
يا أوان الطهر يا شــهر الكرامة
يا بشير التوبة من قبل الندامة
يا شفيع المسلمين يــوم القيامة
من هدى الاسلام ملينا الدهر عزه
لما ثار الشعب هز الدنيا هزه
علمتنا ان الــكفاح والنصر لذه
علمتنا ان الرجـــا لله معـــزه
بالله أرزاقــكم على الله والرجا لغـــيره مذله
والليــالى الحلوة هله والمــدن أنوارها طــله

شهر التوبة والنفحات شهر الخير والبركات الذى ملأ الكون بالنور والبركات كما ابدع الشاعر على الفقى :

يا شهر النفحات

يا شـــهر التوبة والنفحات بشــايرك ع الوجود هله
نهــارك صــوم عن اللذات وليلك ســـهرته تحــلى
ما بين تراويح وبين تسابيح
يا شــهر التوبة والنفحات

***

نشوفك مرة طول العام وأيامك تفوت على طول
وتحسب لك شــهور وايام مواعيدك وشــوقنا يطول
ونستنى رضــاك عنـــا
يا شــهر التوبة والنفحات

***

ولمــــا الرؤية تتــفسر ونتملى الهلال فى خشوع
قلوبنـــا بالرضـــا تعمر ويحلى لنا العطش والجوع
ونتمنى تدوم بينــا
يا شــهر التوبة والنفحات

***

على قدومك يعـــم الخير علينـــا والقليـــل يكتر

وتوصل بين غني وفقير موده والقلوب تطهر
وآخرك عيد ولبس جديد
يا شهر التوبة والنفحات

رمضان شهر الجود والاحسان
كما صوره مصطفى عبد الرحمن :

رمضان

عيدك يا زمان
أيام رمضان
اللى الاحسان بينورها
وليالى ملاح
كلها أفراح
وكرم وسماح بيعطرها

أيامك تحلى بذكر الله
وبعطف القادر ع المحروم
يا هناه اللى يزكى فى دنياه
ويصلى لوجه الله ويصوم

دالعمل الصالح يستنى
ويهنى ويسعد أيامنا
ونحقق بيه كل أملنا
وطريقنا ينور قدامنا

***

م أحلى فوانيسك لما تقيد
وتفرح أولادنا معاها
ويعيشو فى عيد من قبل العيد
على خير الدنيا وهناها

***

فى أمان وسلام عود ع الاسلام
واسعد أمتنا العربية
عود يا رمضان بأمل بسام
وليالى معاك حلوه هنيه

***

عيدك يا زمان
أيام رمضان
اللى الاحسان بينورها
وليالى ملاح

كلها أفراح

وكرم وسماح بيعطرها

عيدك يازمان

الشهر الذى يعرف من صامه حال المحروم كما ابدع فتحى قورة :

على فرحه وشوق

بنبص لفوق

نلقى هلاله أول رمضان

والمدنة تقيد

وتخلى العيد

شهر بحاله أيام رمضان

شبهته بنسمه من الجنه

وايدين للفرحة بتتحنى

وحداشر شهر بنستنى

نشرب شرباتها ونتهنى

ويدق الباب

من بعد ما غاب

واشتقنا له

والمدنة تقيد

وتخلى العيد

شهر بحاله أيام رمضان

بالشمع تنور فوانيسنا

ونقوله اتمخطر ياعريسنا

وياك احلوت مجالسنا

مهو بدرى وخليك مآنسنا

وفي يوم ما يغيب

فى قلوبنا يسيب

ذكرى جماله

أشواقنا تزيد

وتخلى العيد

شهر بحاله

لك كلمه الناس لو فهمتها

الدنيا تبان على حقيقتها

وقلوبنا ان كانت نسيتها

بصيام رمضان افتكرتها

عرف اللى يصوم

حال المحروم

وسعد حاله

والمدنة تقيد
وتخلى العيد
شهر بحاله أيام رمضان
صليت الفجر فى مواعيده
ودعيتك يا رب تعيده
ع الوطن العربى بيوم عيده
وتبارك خطاويه وتزيده
ولا اشوف مخلوق
فى الدنيا يفوق
عزم رجاله
والمدنة تقيد
وتخلى العيد
شهر بحاله أيام رمضان

رمضان الفيلسوف كما صوره عبد الفتاح مصطفى :

رمضان فيلسوف داخل المحاضرة
لابس جبه صوف لابس عمه خضرة
بيعلم فقط
وبيحط النقط
من فوق الحروف

بيبجى المغربية جوا المشربية ويجمع ألوف
ويخلص دروسه وينور فانوسه ويطوف ع الصفوف
سبحان الله
جعل صيامى عزيمة ونية مستورة
تدريب على المسئولية فى مجتمع شورة
والمسئولية شعور والمسئولية سلوك
بتقول لك اوعى مصالحك ويامصالح اخوك
يهون عليك الطرح يا فلاح
الدودة تاكله بين مسا وصباح
يهون عليك المكن يا ريس العمال
اللى بمال البلد يعطله الاهمال
وازاى يجيلك نوم يا صاحب الكلمة
وصاحب الحق على بابك مالوش كلمة
يا عباد الله راقبوا الله اتقوا الله وحدوا الله

وفى الأيام الاخيرة من رمضان نستمع الى أغانى التوحيش لفراق رمضان فيودعه الناس بنغمات مبكية حزنا على فراقه :

يا عين جودى بالدموع وودعى
شهر الصيام تشوقا وحنانا

شهر به غفر الكريم ذنوبنا
وبـه استـتجاب الله كل دعانا

شـهر بـه الرحمن فتح جنـه
للصـائمين ونور الأكوانـا

والله واعدنا بـه دارُ الرضـا
طوبى لعبد صـامه ايمـانا

لا أوحش الرحمن منك قلوبنـا
فلقد أضـأت بطهرها دنيـانا

لا أوحش الرحمن منـك بيوتنا
فلقد حـوت بوجودك الاحسـانا

لا أوحش الرحمن منك صـلاتنا
فيـك الصـلاة تتوج الرضوانا

لا أوحش الرحمن منك دعاءنا
بـك لا يخيب رجاؤنا ودعـانا

لا أوحش الرحمن منك خضوعنـا
وسـجودنا وخشـوعنا وبـكانا

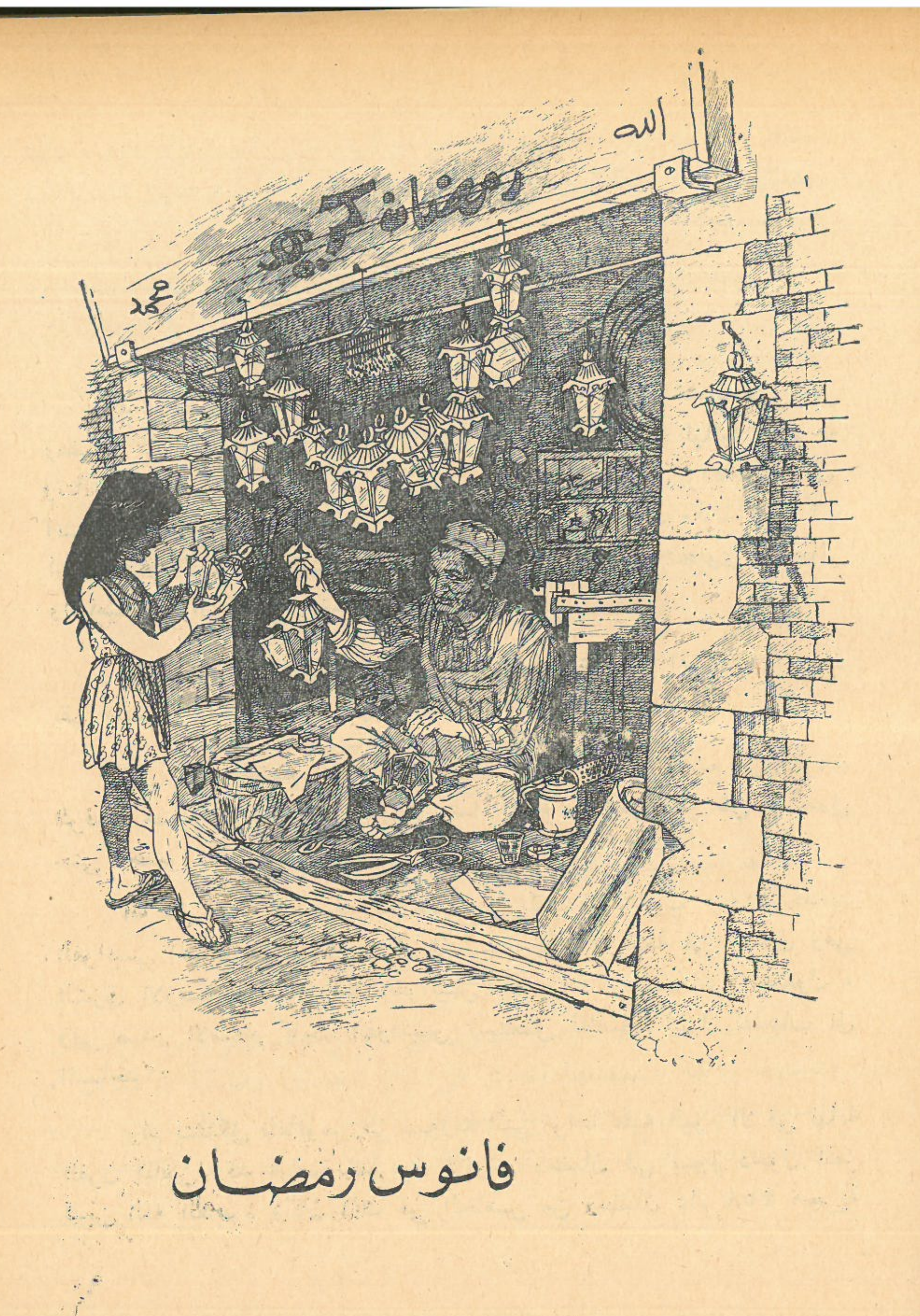
بالله يا شهر الهدى لا تنسنـا
واذكر لربك خوفنـا ورجانـا

ويلاحظ المستمع الى اغنيات رمضان فى العصر الحديث ان الغالبية العظمى منها مكتوب باللغة العامية وعلى الرغم مما فى هذه النماذج التى

أوردتها من صياغة جميلة ولفتات حلوة وتصوير رائع للمشاعر الانسانية فى رمضان الا اننا لا نخاطب بها الا الذين يفهمون لهجتنا المحلية فى الدول العربية والاسلامية وهم أقل من القليل .

ولما كانت اللغة العربية هى لغة الشعب العربى كله من المحيط الى الخليج . بل لغة المسلمين المنتشرين فى بقاع العالم . ولما كنا ننادى بالقومية العربية ونعتبر وطننا جزءا من هذا الوطن الكبير . فقد كان لزاما على الاذاعة عامة وصوت العرب خاصة مخاطبة العرب والمسلمين باللغة التى يفهمونها ؛ لغة القرآن الكريم . فاللغة هى أول الأسس التى تقوم عليها القومية العربية وهى العامل الاول الذى يستطيع أن يوحدنا روحا وقلبا ووجدانا فى طريق الخير والحب والسلام ..

وقد تعرضنا فى فصل (رمضان فى الشعر العربى) لكثير من النماذج المكتوبة باللغة العربية فى العصور الاسلامية المختلفة عامة وفى العصر الحديث خاصة لتكون الصورة المقابلة لما كتب فيه بالعامية المصرية وهى لهجة لا تفهم كما قلنا الا فى مصر والشام والسودان للتجاور والتقارب والصلات التاريخية العريقة من زمن بعيد ولا يكاد الناس فى العراق والمغرب العربى بدوله الاربع يفهمون منها غير القليل .



فانوس رمضان

- ١ -

يذكر التاريخ للفاطميين فى مصر تقاليد لا تنسى • خاصة فى شهر رمضان كان هذا الشهر عيدا من أعياد الشعب تضىء لياليه بالفرحة وتتألق مجالسه بالأنس •• بلغ من اهتمام الفاطميين برمضان أن أنشئوا له وزارة مهمتها تقديم خدمات للشعب وخصصت مكانا كبيرا لما أسمته دار الفطرة وكانت دار الفطرة هذه تقدم للناس الحلوى والفطائر والياميش طوال شهر رمضان •

والفانوس من الفنون التشكيلية ويعادل عروسة المولد وهو جهاز يقى مصدر الضوء من الريح أو المطر •

قيل انه استخدم ايام الرومان وان جوانبه كانت تصنع من القرون الرفيعة لحماية المشاعل الزيتية وان هذا النوع من الفوانيس ظل يستعمل حتى العصور الوسطى •

أما فى عصر النهضة فقد صنع من المعدن المثقوب • واستخدمت الفوانيس المصنوعة من الورق أو المنسوجات الرفيعة فى الشرق وفى الشرق الاوسط استخدمت الفوانيس المصنوعة من النحاس المشغول ، وفى صدر الاسلام كانت الفوانيس تستعمل للاضاءة ليلا للذهاب الى المساجد •

ولم يتشكل الفانوس فى صورته التى نراها عليه اليوم الا فى نهاية القرن الماضى وقد عرف المصريون فانوس رمضان فى يوم دخول المعز لدين الله القاهرة وكان ذلك فى الخامس من رمضان عام ٣٥٨ هجرية

حيث استقبله أهل القاهرة ليلا فى موكب كبير اشترك فيه رجالها ونساؤها وأطفالها حاملين المشاعل والفوانيس مرددين الهتافات والأناشيد •

وبعد أن كانوا يستعملون الفوانيس للاضاءة لزيارة الأهل والأقارب أو التردد على المساجد ، حمله الاطفال بعد الافطار يطلبون به الهدايا التى بدأ الفاطميون فى الاسراف فى بذلها لنشر دعوتهم الجديدة •

وأخذت تتأصل فيهم هذه العادة يوما فيوما حتى أصبح الفانوس ملتصقا برمضان وأصبحت هذه هى لعبة الاطفال يفتنون بها ويعدون لها الأناشيد •

استمعنا الى ما جاء على السنتهم :

ادونا العادة   ربى يخليكم
لبدة وقلادة   ربى يخليكم
الفانوس طقطق
والشمعة ساحت

كما اشتهرت أغنية :

أحوى أحوى   اياها
بنت السلطان   اياها

ورأينا بعد ذلك الناس يفتنون فى اخراج هذه الفوانيس فى أشكال هندسية بديعة يستعملها الناس فى ليالى رمضان وخاصة الأطفال • وأصبح الفانوس ملتصقا بما ينشده الأطفال الذين يطالبون بهدايا رمضان ، ومن طريف ما يروى ما جاء فى فانوس رمضان تلك المساجلة

التى تبارى فيها أبو الحجاج يوسف بن على وابن الظافر وأبو محمد القلعى والرشيد عبد الله محمد وأبو الحسن ابن النبيه حين اقترحها عليهم أبو الحجاج فى جامع عمرو وبدأها بقوله :

ونجم من الفانوس يشرق نوره
ولكنه دون الكواكب لا يسرى

ولم أر نجما قط قبل طلوعه
اذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

فلما قال له ابن الظافر ان هناك نجوما لا تدخل تحت الحصر اذا غابت تنهى الصائمين عن الفطر وهى نجوم الصباح أضاف أبو الحجاج :

هذا لواء سحور يستضاء به
وعسكر الشهب فى الظلماء جرار

والصائمون جميعا يهتدون به
« كأنه علم فى رأسه نار » (١)

فأنشد ابن الظافر :

ألست ترى شخص المنار وعوده
عليه لفانوس السحور لهيب

كحامل منظوم الأنابيب أسمر
عليه سنان بالدماء خضيب

(١) شطر البيت للخنساء وتمامه
وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

ترى بين زهر الزهر منه شقيقة
بها العود غض والمنار كثيب

وتبدو كخد أحمر والدجى لمى
بدا فيه ثغر للنجوم شنيب

كأن لزنجى الدجى من لهيبه
ومن خفقه قلبا عراه وجيب

تراه يراعى الصبح ليلا فان دنا
طلوع صباح حان منه غروب

فهل كان يرعاها لعشق ففر اذ
درى أن رومى الصباح قريب

وقال أبو محمد القلعى :

وكوكب من ضرام الزند مطلعه
تسرى النجوم ولا يسرى اذا رقبا

يراقب الصبح خوفا ان يفاجئه
فان بدا طالعا فى أفقه غربا

كأنه عاشق وافى على شرف (١)
يرعى الحبيب فان لاح الحبيب خبا

(١) الشرف : المكان العالى

وقال الرشيد أبو عبد الله محمد :

أحبب بفانوس غدا صاعدا
وضوءه دان من العين

يقضى بصوم وبفطر معا
فقد حوى وصف الهلالين

وقال القاضى ابو الحسن بن النبيه

حبذا فى الصيام مئذنة الجا
مع والليل مسبل أذياله

خلتها والفانوس اذ رفعته
صائدا واقفا لصيد غزاله

وما أكثر ما قاله الشعراء فى فانوس رمضان

وعلى الرغم من أن صناعة الفوانيس أصبحت من اقصر الصناعات عمرا حيث تعيش شهرا واحدا لتموت بقية العام فلم تعد تستعمل كما كان الحال قديما فى الاضاءة ليلا . فان شارع تحت الربع بالقاهرة لا يزال عامرا بالمفتنين فى هذه الصناعة حتى ان الفوانيس المتداولة خلال شهر رمضان تقرب من ٣٠٠٫٠٠٠ ثلاثمائة الف فانوس .

ولا يزال ريف مصر على عهده .. وما زالت له عاداته وتقاليده القديمة لا يكاد الناس ينتهون من طعام الافطار حتى يخرج الاطفال بفوانيسهم يجوبون حوارى القرية ودروبها مرددين أغانى مضان .

ولشعراء الاغانى فى العصر الحديث كثير من الاغنيات التى خصوا بها فانوس رمضان يحملها لنا الاثير كلما اقبل شهر رمضان .

من كلمات بيرم التونسى ولحن على اسماعيل وغناء الثلاثى المرح :

وحوى .. وحوى

يا قمر طالع (أيوحا)
بفانوس والع (أيوحا)

انت حبيبى (أيوحا)
امسلالى جيبى (أيوحا)

سكر أحمر (أيوحا)
وزبيب أسمر (أيوحا)

وأنا ادعيلك وفى يوم عيدك
امتى اجيلك وحوى

ويا قمورة (أيوحا)
فى المقصورة (أيوحا)

زى الوردة فى البنورة
احنا جينا طلى علينا

بيتك عمران بياميش رمضان
ادينا حفان وحوى

رمضان غالى (أيوحا)
كله تسالى (أيوحا)

فيه الفرحة (أيوحا)
شجرة وطارحة

طارحة بندق طارحة فستق
فى خشاف عايم ويا مكارم
لك يا صايم وحوى

رمضان من أول ليلة (ياللا الغفار)
خلا لنا الدنيا جميلة (ياللا الغفار)

وهلاله كل ما يكبر نكبر وياه نكبر
ليلة القدر ياليلة النور يا لى كلك هنا وسرور
الموعود بيكى بيتهنى وينول كل ما يتمنى
يا ربى بيها توعدنا من احسانك واسعدنا



التسحير

وحدوا اللـــــــه يا عبـــاد اللـــــــه
اصــح يا نايــم وحــد الدايـــــم

هذا النداء الحبيب الذى يطرق القلوب والاسماع فى الهزيع الاخير من كل ليلة من ليالى رمضان يوقظ النائمين ليتسحروا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(تسحروا فان فى السحور بركة)

وكان المسلمون فى أيام الرسول (ص) لا يفطرون الا على أذان بلال (١) ويمتنعون عن الطعام بعد آذان ابن أم مكتوم . عن عائشة رضى الله عنها أن بلالا كان يؤذن بليل فقال رسول الله :

(كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم فانه لا يؤذن حتى يطلع الفجر) .

وممن اشتهروا بالتسحير الزمزمى فى مكة وابن نقطة فى بغداد ، كان الأول يتولى التسحير فى صومعته بأعلى المسجد ومعه اخوان صغيران يجاوبانه ويقاولانه فيقول :

(١) بلال بن رباح هو أول المؤذنين فى الاسلام وقد جاء فى أكثر من رواية ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يجتمع بالناس للصلاة بغير دعوة فاقترح أحـــد الصحابة أن تنصب راية للدلالة على مواقيت الصلاة واقترح آخر استعمال البوق ولكن لم يرض عن استعماله الرسول (ص) ثم استعمل الناقوس . وبينما هم كذلك اذ رأى عبد الله بن زيد فى منامه شخصا علمه الاذان فأخبــــر النبى بذلك فقــال النبى (انها لرؤيا حق ان شاء الله) وأمره أن يلقيها على بلال ليؤذن بها لانه أندى صوتا .

نيـــاما قومـــا قوما للســـحور

فيردد الطفلان ما قاله ثم ينشد :

ايها النوام قوموا للفـــلاح
واذكروا الله الذى اجرى الرياح
ان جيش الليل قد ولى وراح
اشربوا عجلى فقـــد لاح الصباح
تســـحروا غفر الله لكم
تسحروا فان فى السحور بركة

وفى كل مرة ينادى بهذا النداء ثم يرخى طرف حبل جمعه فى يده فينخفض فيتدلى منه قنديلان كبيران معلقان فى اعلى الصـــومعة فمن لم يسمع نداء التســـحير يبصر بالقنديلين يهبطان فاذا لم يبصرهمـــا علم ان وقت السحور قد فات ...

اما ابن نقطة فقد كان يوقظ الخليفة الناصر فى بغداد وقد عرف ما يقال فى التسحير أيامه (بالقوما) من قوله (قوما تسحر قوما) .

فلما مات ابن نقطة ذهب ابنه وكان له صوت رقيـــق ووقف تحت قصر الخليفة ثم انشد :

يا ســـيد الســـــادات
لك فى الكرم آيـات
أنا ابن أبو نقطـــــــة
تعيش أبويـــا مـــات

ومن أشهر ما قيل فى التسحير قديما :

لا زال سعدك جديد
دائم وجدك سعيد

ولا برحت مهنى
بكل صوم وعيد

فى الدهر أنت الفريد
وفى صفاتك وحيد

والخلق شعر منقح
وانت بيت القصيد

يا من جنابه شديد
ولطف رأيه سديد

ومن يلاقى الشدائد
بقلب مثل الحديد

لا زلت فى تأييد
فى الصوم والتعييد

ولا برحت ممتع
بكل عام جديد

وأول من صاح فى مصر بالتسحير فى طرقاتها هو والى مصر عنتبه ابن اسحق عام ٢٣٨ هجرية وكان يخرج بنفسه ويسير على قدميه من مدينة العسكر فى الفسطاط الى جامع عمرو وكان ينادى فى طريقه بالسحور صائحا ·

عباد الله تسحروا ففى السحور بركة

واهل مصر اول من سحر على الطبلة ، واهل الاسكندرية كانوا يسحرون بدق الأبواب بالنبابيت ·· اما أهل الشام فكانوا يطوفون على البيوت يسحرون بالعزف على العيدان والطنابير والصفافيروكانوا يرددون امثال هذه الاهزوجة :

رب قدرنا على الصوم واحفظ ايمانا بين القوم
وارزقنا اللحم المفروم عبدك ما ايله اسنان

ومن عادات وتقاليد رمضان فى الجيل الماضى ان يمر المسحراتى ينشد المواعظ ويحيى سكان الدار فردا فردا مناديا عليهم بأسمائهم ·

ومن اشهر ما قيل فى التسحير فى الجيل الماضى ما قاله الشيخ محمد النجار ومطلعه :

ثبت هلال رمضان وقالوا صيام
لرؤيته والشك زال باليقين

أحياكم المولى الى كل عام
وكل عام وانتم بخير طيبين

ومنه :

أنا المسحر جيت أطبل لكم
حافظ أساميكم صغير مع كبير

فى كل ليلة لى على كل بيت
اللى من الذمه خرج للفقير

ولى عيدية عنـــدكم كــل عيـــد
والكعك وكفوف الشريك والفطـــير

وفى آخر أيام رمضان يردد المسحر فى صوت ملؤه الحزن والاسى عبارات التوحيش :

لا أوحش الله منك يا شهر الصيام
لا أوحش الله منك يا شـــهر القيام
لا أوحش الله منك يا شهر الولائم
لا أوحش الله منك يا شـــهر العزائم
لا أوحش الله منك يا شهر الكرم والجود

ومن اشهر من كتبوا فى التسحير فى العصر الحديث امام الزجل بيرم التونسى قال :

انا امدح المولى الغفور الودود
اللى تجلت رحمته فى الوجود
الارض والسموات على شهود
اشـهد له سـبحانه بعـز سـلطانه
ومن صـميم قلـبى اشـكر له احسانه
يا مؤمنين وحدو اللـــه
لا الـــه الا اللـــه
سبح اله العرش واخضع اليه

هو الوحيد اللى انت رزقك عليه
الملك والملكوت عطيـــة ايديـــه
لـــو مرة ينظـــر لك لابد يغفـــر لك
ويدخـــلك جنـــه فيهـــا ما تتمـــنى
يا مؤمنين ...
يا مؤمنين ...
يارب تلطف بالعباد فى قضـــاك
انت اللى مالك من شريك فى علاك
تبلغ الصايم نهاية رحمتك ورضاك
وتحفـــظ الاســـلام على مدى الايـــام
واللى اعتمـــاده عليـــك يارب لا ينضـــام
سبحانه من خلى الاهـــلة تدور
والشهر بالخـــيرات علينـــا يدور
يا صايمين لاحت نجوم السحور
على الســـحور يالـــلا قبل الاوان يالـــلا
صـــومو بأمـــر اللـــه
والاجـــر عنـــد اللـــه

وكتب الشاعر أحمد مخيمر وهو نادرا ما يكتب بالعامية هذه الأغنية التى تعتبر من روائع أغانى المسحراتى التى كتبت حديثا :

المسحراتى

ياروح من فوق نازل هايم

يقول للصاحى والنايم

مفيش دايم غير الدايم

روايح هبه من الجنة   يا عز اللى ح يتهنى

وانا طمعان وباتمنى

أشوف نورها وأطول خيرها   وأطوف فى الضل مع طيرها

ومين ح يفوز غير الصايم

***

يامدبولى يا عبد الله   يا بخته من بنى وعلى

وشاف نوره بيتجلى

ونام ساعه وقام ساعه   وقال دى الدنيا خداعه

مفيش دايم غير الدايم

ياعم أمين ياحج حسين   صلاة الزين صلاة الزين

دموع العين على الخدين

وانا قلبى يصلى له   دع البازه يغنى له

***

يا حجه اصحى وصحيهم   دا صوم رمضان ح يهديهم

وح يبارك لكم فيهم

وحيوريهم السكة   وفين نمشى على مكة

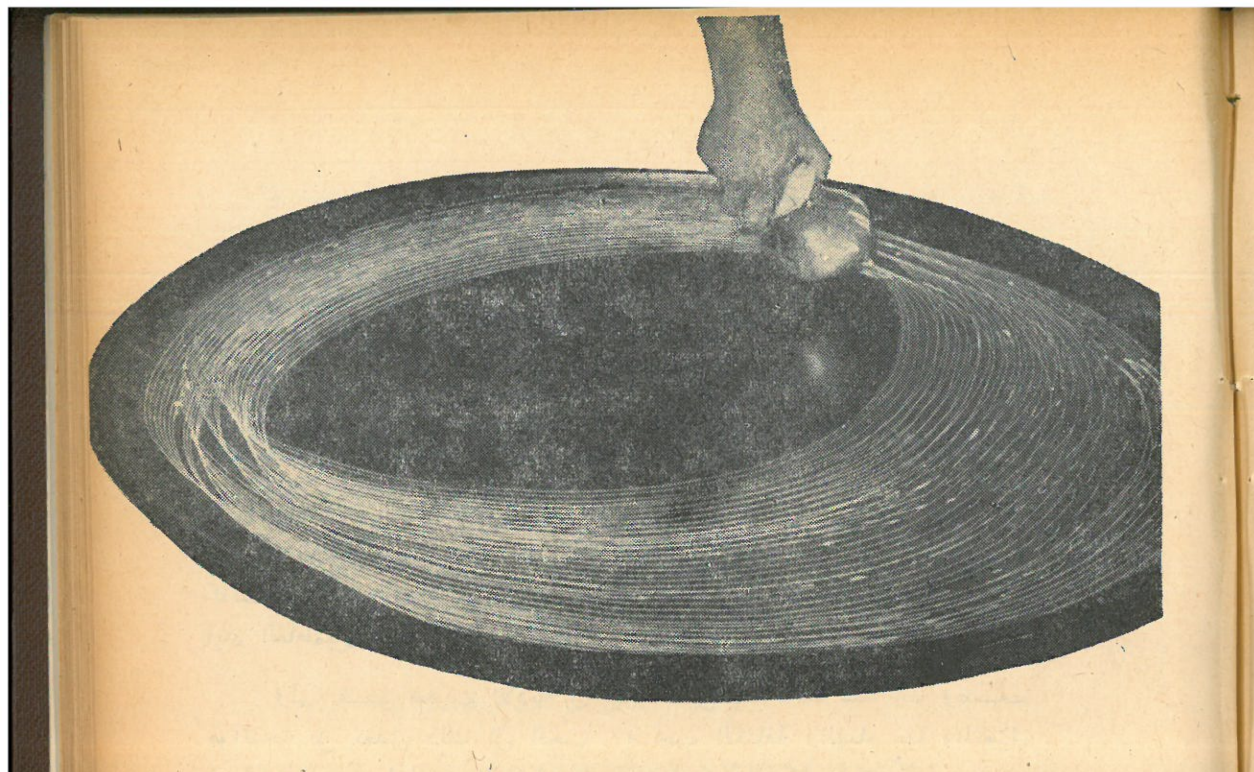
ومن زارها رجع غانم

وقد تطورت أغنية المسحراتى وتفنن الشعراء فى تطوير شخصية المسحراتى الذى تعود الشعب أن يراه يسحر النائمين . بل خلقت شخصية المسحراتى الذى يسحر الصاحيين أيضا كما جاء فى أغنية مسحراتى الصاحيين للشاعر عمر عسل .

ومطلعها :

يا نايم فى طريقك   وبتمشى سرحان

حاسب فتح عينك   د الشارع مليان



عاشق الكنافة

من معالم شهر رمضان المبارك اقبال الناس على تناول الكنافة (١) والقطائف • وقد عرفت الكنافة والقطائف منذ زمن بعيد قيل انها قدمت أول ما قدمت لسليمان بن عبد الملك ليتسحر بها وكان ذلك فى أول المائة الثانية من الهجرة وقد صنعها له طهاة حلب •

ولعل حب الناس للكنافة والقطائف حب توارثه الآباء عن الأجداد• وقد احتلت الكنافة والقطائف مكانا ملحوظا فى ديوان الشعر العربى فقد كانت من أنواع الحلوى التى قلما تخلو منها موائد الصائمين فى رمضان أيام الفاطميين •

ولم يقف حديث الأدباء والشعراء عن الكنافة عند حد وصف موائدها بل تعدى ذلك الى الحب •• حب الكنافة والهيام بها والتغزل فيها حتى صار لها من العاشقين من خلد ذكرها وخلدته •

فكما أحب قيس لبنى وتدله جميل فى حب بثينة وتغنى ابن زيدون

---

(١) ذكر المادة اللغوية : قال الجوهرى فى الصحاح القطيفة دثار مخمل والجمع قطايف وقطف ومنه القطيفة التى تؤكل •

وقال صاحب القاموس : القطيفة دثار مخمل والجمع قطائف و «قطف» قرية بضمتين دون ثنية العقاب فى طرف البرية من ناحية حمص وأبو قطيفة شاعر والقطائف المأكولة لا تعرفها العرب • وأما الكنافة فلم يتركها أحد من أئمة اللغة ولا يوجد فى الالفاظ اللغوية ما يصلح أن يكون مادة لها •

قال ابن فضل الله فى المسالك كان معاوية رضى الله عنه يجوع فى رمضان جوعا شديدا فشكا ذلك الى محمد بن اتال الطبيب فاتخذ له الكنافة فكان يأكلها فى السحور فهو أول من اتخذها •

بولادة ؛ أحب أبو الحسين يحيى الجزار الكنافة حبا ملك عليه بطنه وكل مشاعره تغزل فيها ، وهام بحب صوانيها •

كان هذا الشاعر ينتظر رمضان لا ليزكى ولا ليصوم ولكن ليملأ الدنيا غزلا فى كنافته •

ولقد ردد الناس شعره فى الكنافة وتناقلوه فى أنديتهم وشغلت المحافل كلها بما كتبه العاشق الولهان فى الكنافة • فهى فتاة أحلامه وهى المعشوقة التى تتأبى عليه وترميه بالغدر وهو المعذب الحائر الذى يتعجب كيف تتهمه بذلك وهو الحافظ للود الأمين على العهد فهى الحبيبة التى ملكت عليه مشاعره •

ومالى أرى وجه الكنافة مغضبا
ولولا رضاها لم أرد رمضانها

عجبت لها فى هجرها كيف أظهرت
على جفاء صد عنى جفانها

ترى اتهمتنى بالقطائف فاغتدت
تصد اعتقادا أن قلبى خانها

ومذ قاطعتنى ما سمعت كلامها
لأن لسانى لم يخاطب لسانها

وهو يرى فى الكنافة والقطائف لذة أعذب وأحلى من لثم المراشف

تالله ما لثم المراشف
كلا ولا شم المعاطف

بألـذ وقعـا فى حشـا
ى من الكنافة والقطائف

حتى اذا مازالت الدولة الأيوبية التى كانت تحب الأدب وتعطف على الشعراء وتجزى النابهين منهم وجاءت دولة المماليك البحرية من الأعاجم الذين لم يرحبوا بالشعر والشعراء . لم يجد أبو الحسين بغيته فى الكنافة فراح يبكى لياليها الغر الحسان .

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر
وجاد عليها سكرا دائم الدر
وتبا لأيام المخلل انها
تمر بلا نفع وتحسب من عمرى
ولى زوجة ان تشترى قاهرية
أقول لها ما القاهرية من مصر

فلما ضاقت الدنيا به ذرعا ورأى أبواب الحكام موصدة دونه أرسل لأحد أصدقائه الموسرين الذين مازالوا على عهدهم به ويدعى شرف الدين قائلا :

أياشرف الدين الذى فيض جوده
براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكنافة اننى
لأرجو لهامن سحب راحتك القطرا
فعجل بها جودا فمالى حاجة
سواها نباتا يثمر الحمد والشكرا

ولم يكن أبو الحسين بن يحيى الجزار وحده الذى أحب الكنافة وتدله فى حبها فهذا الامام (البوصيرى) صاحب القصيدة المشهورة المسماة بالبردة والتى نظم على غرارها شوقى نهج البردة التى مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

هذا الامام (البوصيرى) يعتب على قاض فى أيامه اسمه (عماد الدين) انه لم يقدم له كنافة رمضان قال :

ما أكلنا فى ذا الصيام كنافة
آه وابعدها علينا مسافة
قال قوم أن العماد كريم
قلت هذا عندى حديث خرافة
فاعلموه عنى ولا تعتبونى
ان عندى فى الصوم بعض الخرافة

ولم يكن ابن نباتة الشاعر المصرى الرقيق اللفظ العذب البيان بأقل حبا للكنافة من الحسين والبوصيرى قال وقد أرسل اليه صحن كنافة وتذكر ابنته فى دمشق .

ذكرتك والأسماء تذكر بالكنى
فلله يا إسما الكنافة والذكر
يذكر صحن الوجه صحن كنافة
هما الحلو مماتشهد العين والفكر

(١) أسما : يريد أسماء فقصر ، اسم لفتاته .

ليالى فطر الصوم اذ كل ليلة
باحسان نور الدين عيد ؛ هو الفطر

وانعامه عندى وشكرى عنده
ولكن متى يوفى بانعامه الشكر

اذا كان ذا جود وشعر يجيبنى
وأحسن من شعرى له ذلك الشعر

ولم أنس ليلات الكنافة قطرها
هو الحلو الا أنه السحب الغزر

يجود على ضعفى فأهتز فرحة
(كما انتفض العصفور بلله القطر)(١)

ومن رقيق قوله :

وقطائف رقت جسوما مثلما
غلظت قلوبا فهى لى أحساب

تحلو فماتغلو ويشهدقطرها الـ
فياض ان ندى على سحاب

---

(١) من شعر أبى صخر الهذلى فى قصيدته المشهورة التى أولها :

لليلى بذات الجيش دار عرفتها ... وأخرى بذات البين آياتها صفر
كأنهما ملآن لم يتغيرا ... وقد مر بالدارين من بعدنا عصر

والبيت المذكور شطره هو :

وانى لتعرونى لذكراك هزة ... كما انتفض العصفور بلله القطر

وقوله :

أقول وقد جاء الغلام بصحنه
عقيب طعام الفطر ياغاية المنى

بحقك قل لى جاء صحن قطائف
وبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى

وديوان الشعر العربى حافل بالكثير مما قاله الشعراء فى الكنافة والقطائف .

قال ابن هبة الله المصرى :

وافى الصيام فوافتنا قطائفه
كما تسامتت الكثبان من كثب(١)

أهلا بشهر غدا منه لنا خلف
أكل القطائف من شرب ابنة العنب

من كل ملفوفة بيض الى أخر
حمر من القلى تشفى جنة السغب(٢)

وقال ابن نباته :

لجود قاضى القضاة أشكو
عجزى عن الحلو فى صيامى

---

(١) تسامتت من المسامته وهى المقابلة والكثبان بضم الكاف التلال من الرمل والكثب بفتحتين القرب .

(٢) جنة السغب : شدة الجوع .

والقطر أرجو وما عجيب
للقطر يرجى من الغمام

وقال سيف الدين بن قزل المنشد :

وقطائف مثل البدو
ر أتت لنا من غير وعد
قد سقيت قطر النبا
ت وطيبت بالماء ورد
فحسبتها لما بدت
فى صحنها اقراص شهد

وقال الصلاح الصفدى :

اتانى صحن من قطائفك التى
غدت وهى روض قد تنبت بالقطر
ولا غرو أن صدقت حلو حديثها
وسكرها يرويه لى عن أبى ذر (١)

وقال :

الذ شىء على الصيام
من الحلاوات فى الطعام

(١) المراد بأبى ذر الذى يذر عليها السكروفيه تورية بأبى ذر الصحابى المشهور.

قطائف فضضت فتحكى
فرائد الدر فى النظام
منوعات على جنوب
فى الجام كالصبية النيام

وقال آخر :

أليك اشتياقى يا كنافة ظاهر
وليس غناء عنك كلا ولا صبر
فلا زلت اكلى كل يوم وليلة
(ولا زال منهلا بجرعائك القطر) (١)

وقد جمع الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى المولود سنة ٨٤٩ هـ فى كتاب اسماه « منهل اللطائف فى الكنافة والقطائف» كثيرا مما جاء فى باب الكنافة والقطائف منه قول زين القضاة الكندى .

لله در قطايف محشوة
من فستق دعت النواظر واليدا
شبهتها لما بدت فى صحنها
بحقاق عاج قد حشين زبرجدا

(١) شطر البيت لذى الرمة وتمامه

ألا فاسلمى يادار مى على البلى   ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وقول أبى على الحسين بن محمد التونسى :

وقطائف محشوة بلطائف
طافت بنا أكرم بها من طائف

شبهتها بسطت على أطباقها
بوصايف قامت بجنب وصايف

وقال صلاح الصفدى : الى الفاضل زين الدين أبى كثير زيد بن عبد الرحمن المغربى ملغزا فى القطائف :

يا مولانا اثقل الله بفواضلك الكوامل ، وأجمل بفضائلك الاوايل من الفضائل ان أمكنك أن تلمح هذا اللغز اللطيف ، وتعطيه حظا من سيال فكرك الشريف ، تقلد المملوك بدمائه الفضل العميم وتحلى بورود لفظه كما يتحلى بوجود شخصه بين يدى سيد كريم ؛ ما اسم يعتنى الصائمون غالبا بتحصيله ؟ وتتنافس الأكابر فى جملته وتفصيله ، خماسى الحروف فى الترصيف والترتيب ، مسطح الشكالة فى البساطة ، كرسى عندالتركيب . ان حذف خمساه رأيته طائرا وسيما ؛ طالما قص الأثر فاهتدى به وغالب فى طرق اللؤم تميما (١) ، وان اختلس فى أوله كان فى النفور الحسنية كالبال فى الليل البهيم (٢) وفى سورة القلم نارا أحرقت الجنة التى أصبحت كالصريم عزمت على اهدائه غير مرة الى بابك العالى فأمسكت عن قصدى .

فقد قيل عادات البحاير أنهم
باهدائه أولى فما جزت عن حدى

فأوضحه لى قولا وان شئت صورة
وان شئت فارسمه فانى له ابدى

---

(١) يشير الى بيت المتحل فى هجاء بنى تميم :
تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا
(٢) كذا الاصل .

قال صلاح الدين الصفدى فكتبت له الجواب وجهزت له منه صحنا :

أمولاى زين الدين منك مهندى
نداه وان كان الصلاح عدا يهدى

بعثت بلغز قد حلا منك لفظه
فأجمل ذكر الفضل فضلا عن الشهد

فسامح فقد أوضحته لك صورة
على انه لا بد من شرح ما عندى

يا مولاى لغزك هذا بديع المعنى ، بعيد المبنى يترشفه السمع سلافه ، ويتلقفه البصر ورد اختصاص اراد اقتطافه ، فاغربت فى قصده واحكمت عقد شده دلنى على معناه حسن مبناه وقرب التبيان من معناه فلك الفضل فى حله ، وسح وابله وطله .

ومن غريب خواصه أنه أخف من الحلاوة واللبن خطا ومن صحون ملانه اخماسه عاد قطا ، قد راقت العيون ملاحته ، وحشيت بالقلوب حلاوته ، مختص بشهر رمضان ؛ لأن فى قلبه حلاوة كحلاوة الايمان ، بعضه يقلى وكله محبوب وآخر تحت القطر واوله فوق الحجر المتبوب . يروقك اذا نشرت عقده ، وفضلت زوجه وفرده وأشبه شىء بالكواكب اذا اشتملت بالمناشف المخمل وأحس ما ترى تربا اذا اجتمع شملها واليق ما ينشد اذا جف ثراها وانفصمت عراها .

الا فاسلمى يا دارمى على البلا
ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وكتب الاديب برهان الدين القيراطي الى الشيخ تاج الدين السبكي لغزين احدهما فى الكنافة والاخر فى القطائف قال :

لك العلا سلمت حقا باذعان (١)
فاحلل مكانك فى العليا بامكان

قاضى القضاة خطيب المسلمين ومن
لبيته فى المعـالى خـير اركان

أئمة الأمـة الاعـلام قد نشرت
اعـلام علمك للقـاصى وللدانى

هذان لغزان قد حلا ببابك يا
قاضى البرية ما هــذان خصمان

اسمان كل خماسى قد اكتتبت
حروفه وهما لا شــك خـدنان

مثانيا فى الورى شكلا اذا نظرا
وصورة وهما فى الاصــل مثلان

يرى بكانون اصــلاح لشأنهما
كما لاصلهما نفــع بنيســان

لكن الى الضيق منسوب مقرها
ان أحضرا فى مـكان بين اخـوان

---

(١) هذه القصيدة كذا هى بالاصل وكذا جوابها الآتى وفى كثير من ابياتهـا وقفة ولم يتيسر لنا الوقوف على ديوان البرهان القيراطى حتى نعرف صحتها .

فى البر يكفى وان فتشت عنه تجـد
فى لجة البحر ملقى خمسه الثانى

ثبت أرى النار قد أبدت لنا ورقـا
فاعجب له ورقا .. ينمو لنيران

كنافــة هو لكن لا يشم ولا
يضاف يوما الى ازهار بســتان

ذورقــة فاذا صحفته ظهـرت
كنـافة منــه فاستره بكتمان

وكم له من بدور كمل طلعت
فى سائر قط لم تمحق بنقصان

فقدها خيط فجر أبيضا عجلا
بالبرق يسطو عليها سطوة الجانى

والاسم الآخر ذات السنة
لم يبـد قـط لنـــا بالنطق حرفان

يا حسنها ألســنا أضحت حلاوتهـا
يحلو المديح لهـــا من كل انســان

تطوى على الحشر أحشاء وليس لها
فى الاشــعرية من رام بنـكران

بالطى والنشر فى حال قد اتضحت
والطى والنشر فيما قيل ضــدان

كم سـكرت ففتحنا للدخـول لها
أبوابها فتلقتنا باحسـان

حسناء اجمـع أهـل الحـل أجمعهم
والعقد منا عليها بعد عرفان

وصالها حل بالاجماع فى زمن
فيه الوصال حرام عند أعيان (١)

تقلى ولـكن لها قلب تقـربه
ممن قلاها من الاقـوام عينان

ما مل راو من القـالى أماليه
عنها وما خاطر القالى لها شانى

فى الجوف منهـا قلوب حرة جمعت
ولا يكون بجوف الشخص قلبان

كم ظـل يطرحها من ليس ذا سرف
جهرا ويوصف مع هذا باتقان

فأجابه القاضى تاج الدين السبكى :

وقال ظافر الحداد :

جـام حـوى فى الظرف كل باب
مستملح منـه ومستطاب

---

(١) يعنى أن وصالها حلال بعد أذان المغرب وهذا الزمان يحرم فيه وصـال الصوم للنهى عنه فى كثير من الاحاديث اذ أن الصوم الوصال خاص بالرسول عليه الصلاة والسـلام .

فالحسن فيه واضح الاسـباب
منقطع الاشـكال والاضراب

قطـايف لواطـف روابى
لم تحش بل رصت بلا اصـطحاب

فى المسك والفسـتق والجلباب
كأنهـا السـنة الاحبـاب

فى الشكل والنكهة والرضـاب
ملمسـها كوجنـة الـكعاب

فطعمهـا كلذة العتـاب
من بعد صـد طـال واجتناب

تنزل فى الحلـق بلا حجـاب
وهى طعام وهى كالشـراب

وقد ظل الناس على حبهم للكنافة والقطايف وظلت الكنافة والقطايف من أهم ما يقـدم للصائمين فى رمضان فى موائد الافطار حتى اليوم حب توارثه الابناء عن الاباء .

هـات القطـائف لى هنا
فالصـوم حببها لنـا

قـد كان يأكلهـا أبى
وأخى واكرهـها أنا

لـكننى مذ ذقتهـا
ذقت السـعادة والمنى

عيد الفطر

أدبه وعاداته

لكل أمة أعيادها ، والعيد هو ما يعاود مرة أخرى ، وهذه سنة فطرية عرفها الناس منذ بداية الخليقة وأصبح هناك مجتمع له ذكريات تربط ما بينه وبينها الاحداث خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، هزائمها وانتصاراتها

فالعيد هو الواحة الوارفة الظلال التى يفىء اليها الانســان بعد أن اجهدته الحياة فيجد عندها الفرح والنعمى وتعددت الاعياد وأصبح لكل عيد مناسبته التى من أجلها يقام العيد فهذا لذكرى وطنية وذلك لذكرى دينية وغير ذلك من مناسبات ٠

ففى مصر القديمة أم المدنيات عرف قدماء المصريين الاعياد فكانت لهم أعياد دينية يتقربون فيها لآلهتهم كمـا كانت لهم أعياد قوميـة كعيد الحصاد وعيد القمح وعيد الفيضان وقد نظموا فيه قصائدهم ٠

وحين أشرق نور الاسلام على الدنيا عرف المسلمون فى أيام الرسول عليه الصلاة والسلام عيد الفطر وعيد الأضحى المبارك اللذين جاءا بدلا من يومى الجاهلية (١) وفى أيام الفاطميين ابتدع الشيعة (عيد الغدير) وقد اتخذ أهل السنة بعدهم بثمانية أيام عيدا سموه (يوم السرور) وكان ذلك عام ٣٨٩ هـ ٠

وهناك عيد رأس السنة الميلادية وعيد رأس السنة الهجرية وغيرهما من الاعياد ٠

---

(١) كان للعرب أعياد كثيرة يحتفلون بها احتفالات قبلية وشعبية قبل الاسـلام وبعده ويروى عن النبى (ص) انه لما هاجر من مكة الى المدينة وكان لأهلها يومان يحتفلون فيهما قال لهم (ما هـذان اليومان ؟) فقالوا (كنا نلعب فيهما فى الجاهلية) فقـال عليه الصلاةوالسلام ان الله عز وجل بدلكم خيرا منهما يوم الفطر ويوم الاضحى ٠

وعيد الفطر هو من أشهر أعياد المسلمين يجىء بعد آخر يوم من أيام شهر رمضان يخف فى فجره الناس الى المساجد مهنئين بعضهم بعضا ويؤدون صلاة العيد فرحين مستبشرين وهم يرددون فى رهبة وخشوع ٠

الله أكبر الله أكبر الله أكبر

الله أكبر كبيرا

والحمد للـه كثيرا

وسبحان الله بكرة وأصيلا

(لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده) ٠

وعيد الفطر ليس عيدا لانتصــار المؤمن على تحديات الشـهوات والنزعات الانسانية ولا عيدا للتعاطف والتراحم فحسب وانما هو عيد وضع اللبنة الأولى فى بناء الدستور الاسلامى ٠

وقد احتفل المسلمون بأول عيد للفطر فى السنة الثانية بعد أول صيام فرض عليهم ٠

وكان العيد فى صدر الاسـلام يوم تنافس فى الخير وتفاضـل بالتقوى وتعاون على البر وتواصل بين القلوب بالمؤاخاة ٠٠٠

ولم يظفر عيد الفطر بمكان يتسع لصور العيد فى الشعر العربى وندر أن تجد قصـيدا بنى من أوله الى آخره فى العيـد ووصفه وتصوير احساس الناس به ٠ وربما كانت علة ذلك فى الرجوع الى الاوضاع التى جرى عليها منهج القصيد فى الشعر العربى ٠ فقد كان الناس اذا أقبل العيد يتسامعون أن أبواب الخلفاء والامراء قد فتحت للشعراء فيذهبون الى تهنئة

الخليفة أو الامير بالعيد ويملئون القصيد بالتمدح بمناسبة العيد فالعيد هنا مناسبة قيل فيها المدح وليس موضوعا للقصيدة العربية ٠

قال ابن الرومى فى التهنئة بالعيد :

قد مضى الصوم صاحبا محمودا
واتى الفطر صاخبا مودودا
ذهب الصوم وهو يحكيك نسكا
واتى العيد وهو يحكيك جودا

وقال :

رأى العيد وجهـك عيدا له
وان كنت زدت عليه جمـالا
وكبر حـين رآك الهـلال
كفـرحك حين رأيت الهـلالا
رأى منـك ما منـه ابصرته
هلالا اضاء ووجهـا تلالا

ثم ينطلق بعد ذلك الشاعر الى الممدوح قاطعا كل صلة بينه وبين العيد ٠

وفيما قاله الصابى تقرير للمعنى الذى نقرره وهو ان العيد كان مناسبة يقال فيها المدح وليس موضوعا للشعر من حيث هو عيد له مظاهره قال أبو أسحق :

يا سيدا أضـحى الزمان بأنسه منه ربيعا
أيام دهرك لم تزل للناس أعيـادا جميعـا
حتى لأوشك بينها عيد الحقيقة أن يضيعا

ونحن لم نستمع الى المعانى التى تصور المشاعر الحقيقية للعيد الا فى الأدب الحديث حيث لم يعد للشعراء وقفة بباب الخليفة ولا هم ينشـدون المديح فى حضرة سلطان ٠

للشاعر صالح شرنوبى :

يا عيد

أشرق على وجـه الليالى كوكبـا
ضـافى الجـلال معطر الاضـواء
وافض على جدب الحيـاة ٠٠ صبابة
من كأسـك الروحيـة الصـهباء
يا عيـد يا أمل السماء اذا دجت
بالحادثات مواسـم الغبراء
يا واهب النعمـاء ٠ كم من أكبـد
فى الارض ظامئة الى النعمـاء
قل للالى ذهب الغنـى بعقـولهم
فنسـوا ضحايا الدهـر والارزاء

لا تجعلوا يومى على علاته
حربا على الايتام والفقراء

ياعيد ياضيف الزمان اسامع
أم لست تسمع دعوتى وندائى

مازال قومى يحسبونك مثلهم
غرا .. تهيم بزخرف وطلاء

وقال مصطفى عبد الرحمن :

ذاك يوم البر ابشر يافقير
واحمد الله على آلائه

انما يومك من صفو ونور
الامانى البيض من اندائه

طهروا أموالكم بالصدقات

ليس للاموال طهر كالزكاة

أسعدوا الحائر فى دنيا الحياة
وامسحوا بالبر والجود اساه

يا رعى الرحمن للبر يدا
كفكفت دمع اليتامى البائسين

وجرت امنا ، وسعدا وندا
وحنانا سابغا للحائرين

وقال الاديب العالم الكبير الدكتور احمد زكى :

الشمس تطلع علينا وتغيب فتصنع الأيام

سوادا وبياضا ..

والقمر يمتلى ليفرغ ... ويفرغ ليمتلىء فيصنع لنا الشهور ... والارض تدور فى مدارها الكبير حول الشمس فتصنع لنا الاعوام كل هذه صنعتها الطبيعة ...

وجاء الانسان فصنع الاسبوع ..

وكلها أشياء تبدأ لتنتهى .. وتنتهى لتبدأ ففى حكم الزمان أنه لا يذهب منه ذاهب الا ليعود ..

والحياة نفسها ووعاؤها الزمان ، هى كالزمان تأتى لتذهب وتذهب لتعود ففى كل ظاهرة من ظواهر هذه الطبيعة الجامدة عود ، وفى كل ظاهرة من ظواهر هذه الطبيعة الحية عيد ...

والعيد ما سمى عيدا الا لأنه يعود ..

والعيد احتفال ، وهو احتفال بالزمان ، وقد اطلق الله فينا الزمان ينبتنا ويحيينا فاذا اكتملنا كما يكتمل القمر البدر . راح الزمان على عادته يتحيف أطرافنا كما يتحيف أطراف البذور ، فاذا هى آخر الأمر عراجين ونحن نحتفل عند انباتها ونحتفل عندما يصوح النبات ثم نعود فنحتفل بنبات جديد .

واليوم يولد فنحتفل به صلاة صباح

واليوم يموت فنحتفل به صلاة مساء

والأسبوع نحتفل به عند انتهاء أو لعله ابتداء بصلاة جمعة والاشهر نجعل منها الحرام وغير الحرام ونحتفل بها صياما ونحتفل قياما وجعلنا فى هذا الطريق الدائر بنا ونحن به دائرون جعلنا به عرصات ننيخ بها لنستريح ونريح ولنفتسل من عناء الطريق . فهذه

وقفة من بعد صوم لافطار وهذه وقفة بالناس ومع الناس على جبـــل لحج وهذه وهذه وكلها أشياء تعود فهى أعياد .

ان الذى لا يفطن الى معنى الدورة فى الاعياد وأنها دورة الزمان يفقد من الاعياد أصدق معانيها .

البر أول سمات الأعياد

والاعياد فرص لاسداء الخير أكبر الخير هى فرص التــآزر والتعاضد والتحابب والتوادد وسبيل كل هذا البر ولست أجد قولا أجمع لمعانى البر وأشمل من آية البر .

ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبــه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصــلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصــابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون .

فالبر قسطان

قسط لله وقسط للناس

أما قسط الله فعبادة وعقيدة

أما قسط الناس فيبدأ فى البيت ويخرج الى ذوى القربى . وان هو استطاع شمل الناس اجمعين .

والعيد ميعاد للبر يجتمع عليه الناس وقد تجمع عليه أمة فكيف به اذا اجتمعت عليه امم .

عادات العيد

ومن عادات العيد انك لا تدخل منزلا لتهنئة أهله بيوم العيد الا وقدموا لك اطباق الكعك .

وترجع الروايات صناعة الكعك الى عهــد قدماء المصريين كانوا يضعونه فى قبور موتاهم اعتقادا منهم بالحياة الاخرى واحسنوا به على الفقراء كمـــا قيل أنهم كانوا ينقشون عليه صورة الشمس التى كانوا يعبدونها .

وهكذا توارثت النــاس صـــناعة الكعك واخذوا يتفننون فيها ويجيدونها على مر الأيام .

يؤثر عن أبى بكر بن محمـــد بن على المــــادرائى وزير الدولة الاخشيدية أنه صنع كعكا حشاه بالدنانير الذهبية أطلقوا عليه وقتئذ (افطن له) .

وقد دخل الكعك فى عهد الفاطميين ضمن مباهج العيد ومستلزماته وتناول المماليك والعثمانيون بعدهم صناعة الكعك بالاتقان .

وقد أصبحت صناعة الكعك عادة تتوارثها الاجيال وكثيرا ما قامت من أجل الكعك المنازعات والمعارك فى البيوت حتى أنها كانت تتطور فى كثير من الاحيان الى الطــلاق . وكم من السيدات باعت حليها الذهبية من أجل الكعك حتى لا يعايرهن الجيران .

وكعك العيد مادة دسمة الهمت الشعراء بما أشتهر على الالسنة فى المحافل الأدبية خاصة انهم مزجوا أقوالهم بالفكاهة فالشعر قديمــه وحديثه لم يخل من حديث الكعك .

قال (البوصيرى) فى قصيدة رفعها الى الوزير (بهاء الدين) شكا فيها حاله قال :

اليك (ياســـيدى) حالنا أننا
عـــائلة فى غاية الـــكثره
صاموا مع الناس ولكنهم
كانـــوا لمن يبصرهم عبره
واقبـــل العيد وما عندهم
قمح ولا خبز ولا فطـــره
ترحمهم ان ابصروا كعكة
فى يد طفـــل أو رأوا تمره

ولشاعرنا (على الجندى) حوار طريف حول كعك العيد بين شاعر رقيق الحال وزوجته التى تصر على صنع الكعك مستنجدة بكلامها المعسول ودموع التماسيح حتى تم لها الانتصار كما عودتنا حواء :

قال :

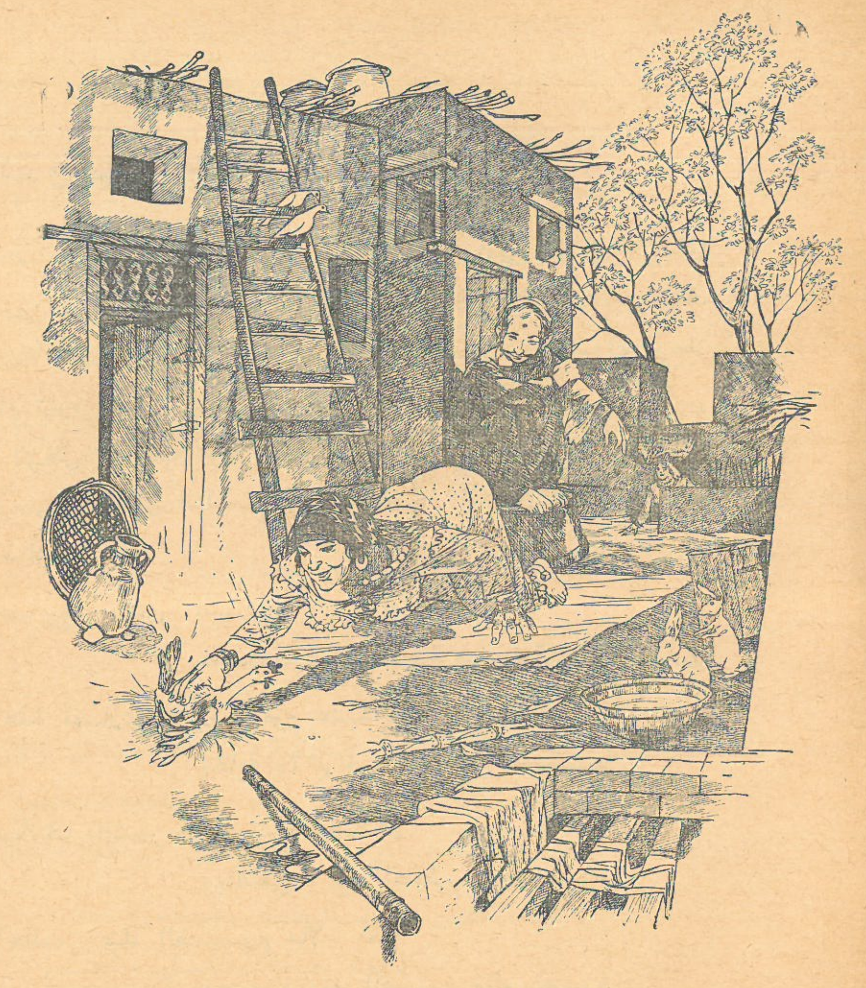
قالت العيـــد قد اطل وللعيد جمـــال وبهجة وجـلال
وتكاليفه ثقال ولـــكن أنت قطب لمثلهـــا حمـــال
كل عيد عليك بالسعد والغبطة يوفى ويقبل الاقبال .

* * *

قلت عاشت أم العيال ونالت كل ما تبتغى وعاش العيال
وحمى الله بيتها ورعى زوجها من الرزق حظه الاقلال .
شاعر كنزه الخيال وهل يجدى على المرء فى الحياة الخيال
وهو لو كان ذا ثراء لسارت بنداه فى العالم الامثـــال
ولكانت (صاجاتنا) من لجين فوقها الكعك وهو (خاء)و(دال)

وهنا استضحكت وقالت سؤال :

لى تجـلد ولا يرعك الســـؤال
اترانا فى العيد نغفل صنع الـ
كعـك يا للهوان هـذا محـــال
انه للبيـــوت مظهرا اثـــراء
وللعيد زينـــة وجمـــال
وهو مسك الختام يرجو به الصـــو
م ثـــوابا وتقبـــل الاعمـــال
وبـــه نعتلى ونســـمو ونختـــا
ل دلالا وحبـــذا الاختيـــال
ونباهى به الاقارب والجير
أن أن هم علينـــا استطالوا
كل (صاج) فى النفس يعمل مالا
تفعل البابلية الجـــريال
ليت شعرى ماذا يقولون عنـــا
ولهم ألسن حـــداد طـــوال
ايقـــولون اننـــا حاشا لله
شـــقينا ســـاءت الاحـــوال
وعدمنا الدقيق والسمن والسكر
هاتيك عثرة لا تقـــال



طـرائف وملح

ابن ميادة وشهر رمضان

جاء ابن ميادة الى المدينة فى شهر رمضان (شهر الصوم) وكان ممن يعيشون فى البادية ، ولا يفارقونها الا قليلا وقد رأى مئذنة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام قد علقت عليها المصابيح ، ورأى رجلا يجلس أمام داره فسلم عليه فرد عليه السلام ودعاه للجلوس فجلس .. وقال للرجل صاحب الدار : « ما هذه المصابيح علقتموها على مسجد الرسول ؟ فقال صاحب الدار : » نحن فى شهر الصوم .. » فقال ابن ميادة :

مصابيح تهدى السالكين فليتها
معلقة فوق الذرا من يلملم (١)

أهذا قصارى الدين ياقوم عندكم
وغاية ما يرجى لدى كل مسلم

سألتك بالشهر الذى أنت صائم
وبالملتقى بين الحطيم وزمزم

أحللت عند الصوم مالا يحله
وحرمت عند الصوم مالم يحرم

---

(١) اسم جبل

مناسككم كالأمس فى جاهلية
وأيامكم موصولة بجهنم

فقال صاحب الدار : « ويلك ياهذا .. من تكون ؟ « فقال ابن ميادة « أنا ابن ميادة .. وما أخالك تعرفنى » فقال : بل أعرفك .. ألست أنت الذى قال فيه يزيد بن الطثرية :

ستعلم ياميادة أنك مفرد
لئيم ، ومحلول الازار ، بطين

وأنك ان مدوا الموائد فارس
ومالك فى هذا النزال قرين

قال ابن ميادة : « ويلك أتشتمنى وأنا ضيف ؟ فقال صاحب الدار « أنت الذى بدأت .. »

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته

قال الفرزدق لمحمد بن الحنفية رضى الله عنه — وكان الفرزدق ممن يميلون اليه وقد اشتهر ذلك عنه بقصيدته الميمية التى قالها يخاطب فيها عبد الملك بن مروان حين سأل : من هذا ؟ فقال :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقى الطاهر العلم

وليس قولك .. من هــذا بضــائره
العــرب تعرف من أنــكرت والعجم

وقد قال الفرزدق ذلك حين رأى ابن الحنفية صائما :

تصوم عن الفحشـــاء والقوم أفطروا
عليها وذاقوا من خبيث المـــوارد

وما رمضـــان أن يصوموه نافعـــا
ولا هو معطيهم عنان المحــامد

وليس التقى الا الذى أنت فاعـــل
وليس تقاهم غـير حمل المفاســـد

فمـــا خلقت نار الجحيم لصـــائم
وما أرسلت منها شـــواظا لعـــابد

تقى ، نقى ، عابد ، متفرد
بمـــا هو فيه مثل جـد ووالـد

لو جاءنى لأعطيته

قال الطرماح وهو شاعر أموى :

على رمضـــــان رحمـــة الله أنه
تولى ولم نظفر بمـــا فيــه من نقل

ولو كنت ناديت الخليفــه من أجـــا
وســلمى للبانى ولم يطلب ذحــلى

لبست جديدا من ثيابى فمـــا له
بخيــلا بأن يعطى الجــديد من النعل

ولو كان أعطـــانى لقلت تحيـــة
لمن داره دارى ومن أهــله أهــلى

وحين بلغت أبياته معاوية بن ابى سفيان قال « لو جاءنى لأعطيته ما شاء »

الله يغفر الذنوب

دق نصيب على الأحوص بابه فأبطأ عليه ، وكان الأحوص حين سمع صوته يخفى ما كان أمامه من طعام وشراب حتى لا يراه مفطرا فى رمضان .. فلما فتح قال له نصيب « أراك أبطأت على » قال الأحوص : « كنت فى بيت الخلاء فقال نصيب وأين عبيدك يفتحون لى .. أنما كنت تأكل وكنت تخشى أن أراك » فقال الأحوص :

الله ربى يغفر الذنوبـــا
فلا تكن من دونه رقيبـــا
ان شئت قدمنا لك الحليبا
وان تشأ فالرطب العجيبا
من هجر جئنـــا به رغيبا
نغرى به العيون والقــلوبا

فقال نصيب وكان تقيا :

كل ما تشاء اننى لصائم
والله ربى بالقلوب عالم
والنار فيها للذنوب جاحم
وكيف ينجو فى الحساب الآثم
انى على ذنبى لديه نادم
وليس لى من لوم ربى عاصم

اعرابى .. وناقته

دخل اعرابى من بلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى وترك ناقته بباب المسجد حتى يتم صلاته ، فلما أتمها وخرج لم يجدها فسأل عنها فعابثه بعض شباب من الأوس وقالوا له « سرقها من فرض عليك الصلاة والصيام » فصدق الاعرابى .. ورفع رأسه الى السماء وقال :

أتسرق ناقتى وتريد منى
صلاة عند بيتك أو صياما
فأقسم لا أصلى بعد يومى
ولا ألقى طواعية أماما
ولست بصائم رمضان عمرى
ولا ملق لدعوته الزماما

وان نادى المؤذن فجر يوم
فلن أدع الشراب ولا الطعاما
وان قالوا الحلال خفضت صوتى
وأرفعه اذا قالوا الحراما

ثم مال الى اناء فيه فشرب منه وقال :

لا صوم حتى تعود راحلتى
ويستجد الاله مرضاتى
ولا يطيل الملام مرتجل
ان يلقنى راجلا بمواماة
وهل يطيب المقام فى بلد
أصيد جرذانه بحياتى

شاعر أهل البيت وبنو أميه

كان السيد الحميرى شاعر أهل البيت قصر شعره كله عليهم واشتهر عنه ذلك وكان يكتبه باللغة الدارجة فى ايامه فكان لذلك سهلا قريب المعانى من الناس وقد سئل مرة عن دينه فقال :

انى ادين بما دان الوصى به
وشاركت كفه كفى بصفينا

والوصى عند الشيعة هو الامام على رضى الله عنه .. وقد شهد السيد

الحميرى رجلا من بنى أميه فى شهر الصيام صائما فقال له حين اصبح منه دانيا :

دعوا الصوم للعباد لستم بأهله
ولا أنتم منه ، ولا هو منكم
وأعجب أن صلى التراويح ظالم
وما نفعت من بات للناس يظلم
يسىء لآل البيت عمدا وما درى
بأن عمود الدين قام عليهم
اذا ذكروا فى الليل أو فلق الضحى
غدونا نصلى عندهم ونسلم

عمر بن عبد العزيز والاعرابى

كان من عادة عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة أن يصلى فى رمضان الصلوات الخمس كلها فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبينما هو يصلى العصر رأى اعرابيا يأكل بجانب قبر الرسول فدنا منه فقال له : « أمريض أنت ؟ » قال « لا » قال « أعلى سفر ؟ » قال « لا » قال « فمالك مفطر والناس صائمون ؟ قال الاعرابى « انكم تجدون الطعام فتصومون وأنا ان وجدته لا أدعه يفلت منى » ثم أنشد :

ماذا تقول لبائس ، متوحد
كالوعل فى شعب الجبال يقيم

يصطاد افراخ القطا لطعامه
وبنوه أنضاء الهموم جثوم
والقوم صاموا الشهر عند حلوله
لكنه طول الحياة يصوم

مسحرة

يدلنا التاريخ على أن النداء التقليدى فىالسحور لم يكن مقصورا على الرجال فقد كان هناك بعض المسحرات الفاتنات يقمن بهذا العمل فتغزل فى احداهن شاعر ووصفها بأنها شمس تطلع فى وقت السحور فكيف يأكل الناس والشمس طالعة ٠٠ قال :

عجبت فى رمضان من مسحرة
قالت ولكنها فى قولها ابتدعت
تسحروا يا عباد الله قلت لها
كيف السحور ؟ وهذى الشمس قد طلعت

خفت أن أموت عاصيا

شوهد اعرابى يأكل فاكهة بالنهار فى شهر رمضان فقيل له : « ما هذا ؟ » فقال الاعرابى رأيت فى كتاب الله «كلوا من ثمره اذا أثمر » وأنا خفت أن أموت قبل وقت الافطار فأكون عاصيا ٠

الشعر والكلاب

لما أوصد المماليك أبوابهم فى وجه الشعراء والأدباء التحق شاعر الكنانة أبو الحسين بمهنة الجزارة مع أبيه فلما نهاه صديقه شرف الدين عنها لأنها تنقص من قيمته وتخفض من أدبه رد عليه أبو الحسين بأنها تمنعه ضراعة السؤال والاستجداء وتجعله يمنح عظمه ولحمه للكلاب بعد أن كان يطرق بالشعر أبواب الكلاب من البشر ٠٠ قال :

لا تلمنى يا سيدى شرف الدين اذا ما رأيتنى قصابا
كيف لا أشكر الجزارة ماعشت حفاظا وارفض الآدابا
وبها أضحت الكلاب ترجينى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

البخيل والشاعر

دخل شاعر على رجل بخيل فامتقع لون البخيل واضطربت أوصاله وظن أن الشعر لابد أكل عنده والا تعرض للهجاء ٠ ولكن الشاعر ترفق بالرجل ولم يكن يرضى أن يطعم من طعامه ووصف حال ذلك البخيل قائلا :

تغير اذ دخلت عليه حتى فطنت فقلت فى عرض المقال
على اليوم نذر من صيام فأشرق وجهه مثل الهلال

لا تصم ويدك مغلولة الى عنقك

جاء رجل يوما الى فقيه يستفتيه وكان ذلك فى شهر رمضان فقال له : لقد أفطرت يوما بعذر فقال اقض يوما ، قال قضيت وأتيت أهلى وقد صنعوا (ميمونة) فامتدت اليها يدى وأكلت منها ٠ قال : فاقض يوما آخر ٠

قال : قضيت وقد أتيت أهلى وقد صنعوا (هريسة) فسبقتنى يدى اليها وأكلت منها ٠

قال : الرأى انك لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك ٠

بيت قديم

كان رجل فقير يسكن فى بيت قديم وسقفه دائما يقرقع لأية حركة فلما جاء صاحب المنزل قال له الساكن : أصلح السقف أصلح الله حالك ٠ فأجابه قائلا : لا تخف أيها الساكن ان السقف صائم يسبح ربه ، قال الساكن : أخشى أن يزيد فى التسبيح وأن يتلوا آية من آيات السجدة فيسجد سجدة لا يقوم بعدها أبدا ٠

أتى رمضان (١)

أظن الولية زعلانة وما كنت أقصد ازعالها
أتى رمضان فقالت هاتولى زكيبة نقل فجبنا لها
ومن قمر الدين جبنا ثلاث لفائف تتعب شيالها

(١) للشاعر حسين شفيق المصرى ٠

وجبت صفيحة سمن وجبت   لوازم ما غـيرها طالها
فقل لى على ايه بنت الذين   بتشـكى الى أهلها حالهـا

أشعب فى رمضان

كان أشعب أشد الناس طمعا فدخل على أحد الولاة فى أول يوم فى رمضان يطلب الافطار عنده وجاءت المائدة وعليها جدى فأمعن فيه (أشعب) حتى ضاق الوالى وأراد الانتقام من ذلك الطامع الشره فقال له ·

اسمع يا أشعب ان أهل السجن سألونى أن أرسل اليهم من يصلى بهم فى شهر رمضان فامض اليهم وصل بهم واغنم ثوابهم ·

قال أشعب وقد فطن الى نقمة الوالى منه : أيها الامير تعفينى من هذا نظير أن أحلف لك بالطلاق والعتاق انى لا آكل لحم الجدى ماعشت أبدا ·

فضحك الوالى ··· وأعفاه ·

الحجاج والاعرابى

خرج الحجاج ذات يوم قائظ فأحضر له الغذاء فقال : « اطلبوا من يتغذى معنا فطلبوا فلم يجدوا الا اعرابيا فأتوا به · فدار بين الحجـاج والاعرابى هذا الحوار :

قال الحجاج : هلم أيها الاعرابى لنتناول طعام الغذاء ·

الاعرابى : قد دعانى من هو أكرم منك فأجبته ·

الحجاج : ومن هو ؟

الاعرابى : الله تبارك وتعالى دعانى الى الصيام فأنا صائم ·

الحجاج : أصوم فى مثل هذا اليوم على حره ·

الاعرابى : صمت ليوم أشد منه حرا ·

الحجاج : افطر اليوم ثم صم غدا ·

الاعرابى : أو يضمن الأمير أن أعيش الى غد ·

الحجاج : ليس ذلك الى فعلم ذلك عند الله ·

الاعرابى : فكيف تسألنى عاجلا بآجل ليس اليه من سبيل ·

الحجاج : انه طعام طيب ·

الاعرابى : والله ماطيبه خبازك ولا طباخك ولكن طيبته العافية ·

الحجاج : بالله ما رأيت مثل هذا ·· جزاك الله أيها الاعرابى خيرا - وأمر له بجائزة ··

مدعى النبوة

كان المأمون يسهر فى رمضان مع بعض اخصائه ومعهم القاضى يحيى ابن أكثم فدخل عليهم رجل يدعى أنه النبى ابراهيم الخليل ·

قال له المأمون : كانت لابراهيم معجزات هى أن النار تكون بردا وسلاما وسنلقيك فى النار فان لم تمسك آمنا بك ·

قال الرجل : بل أريد معجزة أخرى أخف ·

فقال المأمون : فمعجزة موسى بأن تلقى عصاك فتبصر ثعبانا وتضرب بها البحر فينشق وتضع يدك فى جيبك فتخرج بيضاء من غير سوء .

قال الرجل : وهذه أثقل من الأولى أريد أخرى أخف .

فقال المأمون : فمعجزة عيسى عليه السلام وهى احياء الموتى .

قال الرجل : مكانك انى أقبل هذه المعجزة وسأضرب الآن رأس القاضى يحيى ثم أحييه لكم الساعة .

فهب القاضى يحيى قائلا : « أنا أول من آمن بك وصدق . فضحك المأمون وأمر له بجائزة وصرفه » .

اطعمه أهلك

دخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : يا رسول الله هلكت .

قال رسول الله : مالك .

قال : وقعت على امرأتى وأنا صائم .

قال رسول الله : هل تجد رقبة تعتقها ؟

قال : لا .

قال رسول الله : هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين .

قال : لا .

قال رسول الله : فهل تجد اطعام ستين مسكينا .

قال : لا .

ومكثت عند النبى وبينا نحن على ذلك أتى النبى بعرق تمر وقال : أين السائل ؟

فقال : أنا .

قال رسول الله : خذ هذا فتصدق به .

قال الرجل : أعلى أفقر منى يارسول الله فوالله مابين لابتيها أهل بيت أفقر من بيتى فضحك النبى حتى بدت أنيابه ثم قال : أطعمه أهلك .

التخمة فى رمضان

قال حسين شفيق المصرى يعارض قصيدة أبى العلاء التى مطلعها :

علّلانى فان بيض الأمانى
فنيت والظلام ليس بفان

مندداً بالذين ينتهزون شهر رمضان ليكثروا من الاكل حتى يصابوا بالتخمة ، قال :

نصف شعبان قد مضى ووراء النصف باقى الأيام من شعبان
فترى كل ما تحب وتهوى من شهى الطعام فى رمضان

اللابة أرض بها حجار وكان بالمدينة لابتان : شمالها وجنوبها

من كباب وكفتة وفطير
وكنافا متقونة فى الصوانى

وفراخ محمرات بسمن
خير ما يشترى من الفرخانى

وابدأ الأكل عندما يضرب المد
فع والهط وأشفط وقربع كمانى

غير أنى أخاف أن يتخم الأبعـ
ـد أو أن يصاب بالزوران

ليس معنى الصيام لو كنت تدرى
جوعة ثم أكلة عميانى

أجرة الأسنان

كانت لقصر الخلافة العثمانية عادة مألوفة فى شهر رمضان تلك هى اقامة ولائم افطار تحضرها طوائف مختلفة من الناس وكل من يحضر هذه الولائم يقبض بعد افطاره مبلغا من المال وهو يسمى بالتركية « ديش كراسى » أى أجرة الأسنان أو نظير التعب الذى يلقاه الآكل فى مضغ الطعام وازدراده .

فقد كان يعطى لمن يفطر بعد الافطار من الصدر الأعظم الى شيخ الاسلام الى من يسعده الحظ بالافطار فيه من الناس صرة من النقود تناسب قدر المفطر فيعطى من ألف ليرة الى ربع ليرة وفى آخر الشهر يفطر الضباط والعساكر فى القصر السلطانى فيعطى للضباط أجرة أسنانه قيمة مرتبه الشهرى ويعطى للعساكر كذلك .

وقد انحصرت هذه العادة فى السنوات الأخيرة فى طائفة الجواسيس الذين يقدمون تقاريرهم الى الباب العالى حيث يعرفهم جلالة السلطان بأشخاصهم .

رمضان فى المحكمة

ازدحم الناس فى مسجد القرية لصلاة أول جمعه من رمضان ووصل الخطيب من خطبته الى الحديث النبوى – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من صام رمضان وأتبعه بستة من شوال فكأنما صام العام كله) فتنحنح بعض المصلين ايذانا بخطأ وقع فيه الخطيب فراجع الخطيب نفسه وقال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام العام كله) فتنحنح المعارضون مرة أخرى . فصاح مصلون آخرون : ما هذه المشاغبة ؟ لقد قال لكم (بستة) فلم يعجبكم ، ثم قال لكم (بست) فأصررتم على تخطئته . فقال حزب اليسار : ليس الخطأ فى ستة وست . بل الخطأ فى رمضان ان الصواب هو (رمضانا) بالتنوين – رمضانا أيها المغفلون .

رمضانا أيها المغفلون ؟؟ انه ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة النون .

واختلطت الأصوات وتساقطت الشتائم مدرارا وارتقى الشجار من شتائم الى تلاكم واشترك الخطيب فى المعركة وبطلت الصلاة وسقط عشرات من الجرحى وانتقل الجميع الى أقسام البوليس وانتهى الى المحكمة .

وفى يوم الجلسة كانت قاعتها والشوارع المحيطة بالمحكمة مزدحمة بأهل القرية رجالا ونساء وأطفالا ولاحظ وكيل النيابة كثرة عدد المتهمين فقال :

أنصار (رمضان) يقفون الى اليمين وأنصار (رمضانا) يقفون الى اليسار ٠

وتقدم الى القاضى رجلان كل منهما يمثل أحد الفريقين المتشاجرين ، قالا : لقد جئنا بغير محامين ولن نترافع فى قضية الضرب لأننا معترفون بالتهمة ٠ راضون بحكم القانون فيها انما الذى نريد أن تقضى فيه المحكمة هو اننا على صواب ، القائلون بالتنوين أم القائلون بالمنع من الصرف ؟ ونظر القاضى وأمر بأن يمثل أمامه حملة شهادة العالمية من الفريقين وأن يعرض كل حجته ٠

كانت حجة القائلين (رمضانا) أنه نكرة مقصودة وان المراد بالحديث من صام أى شهر من شهور رمضان التى تمر به فى حياته ٠

قالت المحكمة فى نهاية الحكم انها تقدر الباعث العلمى الشريف الذى دعا الى هذا الشجار واكتفت بأدنى عقوبة للمتشاجرين ٠

أما قضية رمضان فقد قالت ان علم النحو يجيز الوجهتين لكن مادام الخلاف منصبا عن قول مروى عن النبى عليه الصلاة والسلام فقد وجب الاعتماد على علم الحديث وحده وبما ان الرواة قد اتفقوا على المنع من الصرف فالمحكمة تحكم بصواب القائلين برمضان وخطأ القائلين ب (رمضانا) ٠

فتعالى الهتاف : ليحيى القضاء العادل ٠٠ ليحيى رمضان ٠٠

ليسقط رمضانا ٠٠٠

يوم الشك

تقضى الشريعة الاسلامية بانه لا صيام لشهر رمضان حتى تثبت الرؤية ٠ وقد كان الصوم فى يوم الشك ٠ مثار خلاف بين الفقهاء ٠

ومن طريف ما يروى ان (شريكا) قاضى المسلمين على عهد (الرشيد) كان فى مجلس الخليفة فى يوم الشك ٠ والفقهاء عنده فلم يزالوا جلوسا الى الظهر ينتظرون الانباء من هنا وهناك فجاءت بأن الهلال لم يره احد البارحة وكان بين يدى الخليفة تفاح فطرح الى كل من الجالسين تفاحة فأكلوا الا القاضى (شريكا) فانه لم يقرب تفاحته فاراد الفقيه الكبير « ابو يوسف » ان يوقع بين الخليفة وقاضيه فقال : انظر يا أمير المؤمنين الى قاضيك يخالفك اذ انه أبى أن يأكل ويريد أن يتم صيام اليوم ووجد القاضى نفسه فى مأزق ولكن بديهيته أسعفته بقوله « لم أخالفك يا أمير المؤمنين بل هو الذى خالفك وأصحابه انما أنت امام ونحن رعية لا نفطر حتى تفطر انت وليس لنا ان نتقدمك» ٠

قال الخليفة « صدقت » ثم أكل ، وبعده أكل شريك ٠

أطلب زورة

للصاحب بن عاد يطلب زورة فى رمضان :

راسلت من اهواه اطلب زورة
فأجابنى أو لست فى رمضان
فأجبته والقلب يخفق حسرة
أتصد عن بر وعن احسان

صـــم ان اردت تحرجـا وتعففـا
عن أن تكد الصب بالهجـران

اولا فزرنى والظـــلام مجـلل
وأحســـبه يومـا مر من رمضـان

ابن الراوندى

كان ابن الراوندى ضخم الجثة شرها مبطنا ، وقد تعشق فتاة رشيقة لعوبا وطلب يديها من ذويها فقالت حتى تزول السمنه فتعجب الرجل متى يكون ذلك ؟ فقالت : اذا صمت رمضان وكان الزنديق ملحدا لا يعترف بصيام .

ولكنه اضطر الى الصيام وفى ذلك يقول :

وقائلة وقـد خطرت امـامى
سـمنت وكنت قبل اذ نحيفـا

وراءك فى غد شـهر طويل
فصمه لكى تكون فتى خفيفا

لوجهك لا لوجـه الله صـومى
ولـو انى لقيت به الحتـوفا

* * *

شكوى الشعراء

ارتفعت اثمان الحلوى فى رمضان عام ٩١٧ هـ فكتب لفيف من الشعراء شكوى الى المحتسب جاء فيها :

لقـد جاد بالبركات فضل زماننا
بأنواع حـلوى نشرها يتضـوع

حكتها شـفاه الفانيات حـلاوة
الم ترنى من طعمها لست أشـبع

فلا عيب فيهـا غير ان محبهـا
يبـدد فيهـا ماله ويضـيع

فكم ست حسن من أصـابع زينب
بهـا كل ما تهوى النفـوس مجمع

وكم كعكة تحـكى أسـاور فضـة
وكم عقـدة حلت بها البسط أجمع

وكم قد حـلا فى مصر من قاهـرية
كذاك المشـبك وصـله ليس يقطع

وفى ثوبه المنقوش جـاء بروفق
فيا حبـذا انـواره حين تسـطع

وقد صرت فى وصف القطائف هائما
ترانى لابـواب الكنـافة أقـرع

فيا قاضيا بالله محتسـبا عسى
ترخص لنا الحلوى نطيب ونرتع

(طفيلى)

قيل لطفيلى أى سورة تعجبك فى القرآن ؟

قال : المائدة ..

قيل : فأى الآيات ؟

قال : ذرهم يأكلوا ويتمتعوا .



ياكريم

المراجع

- الأغانى — أبو الفرج الأصفهانى
- عيون الأخبار — ابن قتيبة
- صبحى الأعشى — القشلقندى
- رمضان فى عصور الاسلام — د. حامد الخولى
- رمضان — حسن عبد الوهاب
- رمضان فى الشعر العربى والفارسى والتركى — د. حسين مجيب المصرى
- الذخيرة — ابن بسام
- لسان العرب — لابن منظور
- الكامل — ابن المبرد
- ديوان ابن الرومى
- ديوان ابن نباته
- ديوان أبو نواس
- رمضان منذ فجر الاسلام الى العصر الحديث — خليل طاهر
- يتيمة الدهر — الثعالبى
- مهذب رحلة ابن بطوطة — ابن بطوطة
- مجموعات : دار الهلال - جمعية الشبان المسلمين - منبر الاسلام - العربى بالكويت - الاذاعة المصرية
- زهرة الآداب — أبو اسحق الحصرى

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة